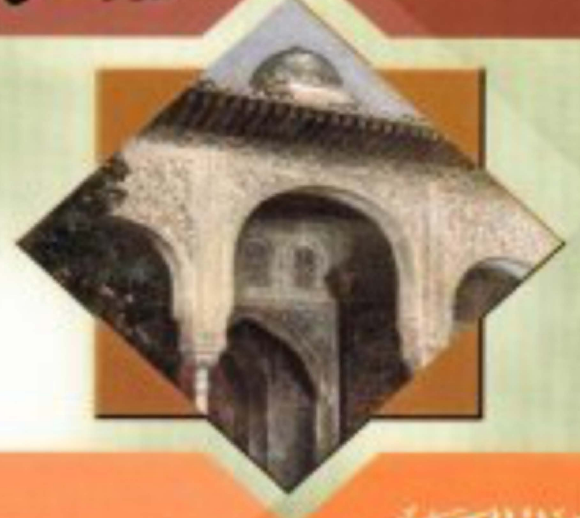


الطرق الجامعة للقراءة النافعة

أ.الدكتور
محمد موسى الشريف



دار التربية
دار التركيز

الطرق الجامعة للقراءة النافعة

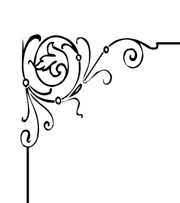
الطبعة الأولى
١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

الطرق الجامعة

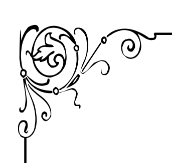
للقراءة النافعة

الدكتور

محمد موسى الشريف



بسم الله الرحمن الرحيم



إهداء

إلى والديّ الكريمين. .

إلى كل مجاهد عامل لتمكين دين الله في الأرض. . .

إلى زوجي العزيزة. .

إلى أولادي. . رجاء أن يكونوا من العاملين الثابتين.



قال عبد الله بن المعتز:

«الكتاب والجٌ للأبواب، جريء على الحجّاب، مُفهِم لا يَفهم، وناطق لا يتكلم».

«تقييد العلم: ١٢٠»

نعم المحدث والرفيق كتابُ
تلهو به إن خانك الأصحابُ
لا مُفْشياً للسِّر إن أودعته
ويُنال منه حكمة وصواب

«المرجع السابق»

وقال الإمام أحمد رحمه الله تعالى:

«سمعت أنْ قلَّ رجلٌ يأخذ كتاباً ينظر فيه إلا استفاد منه شيئاً».

«صفحات من صبر العلماء على شدائد العلم والتحصيل: ١»

مقدمة الطبعة الرابعة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فقد صدرت الطبعة الثانية من هذا الكتاب، وفيها زيادات كثيرة مهمة جمعتها من كتب عدة تناولت فنّ القراءة، وأوردت بعض التجارب والخبرات النافعة في هذا الباب، وقصدت من هذا الجمع التيسير على القارئ ليجد ما يريده مجموعاً في كتاب واحد فلا يضيع وقته في البحث بين الكتب، فصار هذا الكتاب كالخلاصة لعدة كتب أخرى.

وفي الطبعة الثالثة من هذا الكتاب إضافات وتصحيحات رأيتها مهمة، وفيها تراجم للأعلام الواردة.

أما في هذه الطبعة الرابعة فقد أضفت فهرست الأعلام المترجم لهم، وقد كنت غفلت عنه، وهو مهم، وراجعت الكتاب وأضفت إليه إضافات كثيرة أظنها مهمة، وهي مستقاة من بعض الكتب والمجلات ومن التجارب الذاتية.

هذا وقد أشار عليَّ بعض إخواني بأن أقلل من الإضافات، وهذا غير ممكن؛ إذ يفقد الكتاب قيمته بذلك؛ لأن المعارف متجددة،

والجديد كثير متشعب فإن لم يُضَمَّن في الطبعات المتتالية يصبح الكتاب قديماً غير ذي فائدة مرجوة مهمة.

وأسأل الله تعالى أن ينفع بهذه الطبعة كما نفع بسابقاتها، إنه وليُّ ذلك والقادر عليه.

هذا، والله تعالى أعلم وأحكم، وصلِّ اللهم وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

وكتب

د. محمد موسى الشريف

Email: Mohammad-mousa@hotmail.com

Web site: www.altareek.com

مقدمة الطبعة الأولى

الحمد لله رب العالمين، الذي علم بالقلم، علَّم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام الأتمَّان الأكملان على معلم الأمم، محمد وعلى آله وصحبه ذوي الهمم.

أما بعد:

لما كان العزوف عن القراءة سمةً من سمات هذا العصر، خاصة في هذه الأمة الإسلامية المباركة، أردت أن أضع عدداً من القواعد والإرشادات التي تساعد شباب الصحوة المباركة على اعتياد القراءة ومصاحبة الكتب؛ لعلهم يستعيدون مجد آبائهم الكرام الذين علموا الدنيا كلها كيف تنهل من معارفهم وكتبهم.

وفي هذا الكتيِّب سأعرض ـ إن شاء الله تعالى فيما أعرضُ له ـ بعض النظريات العلمية التي تساعد على صقل موهبة القراءة ورفع مستواها عند القارئ حتى ينفع الله تعالى بهذا الكتاب من يقرؤه.

هذا ولم أجد ـ فيما بحثت ـ كتاباً جامعاً في هذا الأمر، وأسأل الله تعالى أن أكون قد أضفت ـ بهذا الكتاب ـ شيئاً ذا قيمة إلى مكتبتنا الإسلامية المباركة وإلى الرصيد الثقافي للأخوة القراء.

والقراءة لها لَذَّة تتذوق فتُسْتمرأ فتُعتاد لا يمكن وصفها لأحد حتى يكون هو المتذوِّق لها، المنوِّه بها بعد ذلك.

وليُعلم أنها قبل ذلك عبادةٌ لله رب العالمين، إن أحسن أداءها المرء فاز بالدرجات العلى، والنعيم المقيم.

أهمية الكتاب
عند المسلمين قديماً

قبل الحديث عن القراءة وأهميتها لا بدَّ من توضيح أهمية الكتاب عند سلفنا، ومدى محافظتهم على اقتنائه، وتنافسهم في هذا الباب أعظم منافسة.

دور الكتب:

أمَّا المكتبات الخاصة فقد كانت شيئاً عجيباً، إذ أن مكتبة العزيز الفاطمي[١]: «كانت من عجائب الدنيا، ويقال إنه لم يكن في جميع بلاد الإسلام دارُ كتب أعظمَ من التي كانت بالقاهرة بالقصر، ومن عجائبها أنه كان فيها ألف ومئتا نسخة من تاريخ الطبريّ، إلى غير ذلك، ويقال بأنها كانت تشتمل على ألف ألف وستمئة ألف كتاب»[٢].

«وجعل بنو عمار في مكتبتهم: «دار العلم» التي أنشؤوها في طرابلس الشام أكثر من مئة وثمانين ناسخاً يتناوبون العمل ليلاً ونهاراً

(١) هو نزار بن مَعَدّ، أحد الخلفاء المتسمين زوراً وبهتاناً بالفاطميين إنما جدهم ميمون القدَّاح اليهوديّ. كان رافضياً خبيثاً، أظهر سب الصحابة. ولد سنة ٣٤٤هـ وتوفي بمصر التي امتلكها أبوه سنة ٣٨٦. انظر «نزهة الفضلاء»: ٢/ ١٠٩١ ـ ١٠٩٣.

(٢) أي مليون وستمئة ألف كتاب، والنقل السابق من مقالة للدكتور علي نور الدين منشورة بجريدة «الشرق الأوسط» نقلها عن «خطط المقريزي»: ٢/ ٢٥٣.

حتى بلغ عدد الكتب فيها أكثر من ثلاثة ملايين مجلد في كل علم وفنّ»[١].

وقد كانت دُور الكتب لها «حجرات كثيرة، تثبت على جدرانها رفوف من الخشب جميلة، عليها كتب كثيرة ومخطوطات ومجلدات عظيمة، وكانت تلك الدور مزودة بعدد وافر من المترجمين والنساخ والأمناء والمساعدين، وكانوا يأخذون على عملهم هذا العطاء الجزيل، كما كانت لهذه الدور فهارس دقيقة منظمة حتى يسهل على الدارس الاهتداء إلى الكتب التي يريد الرجوع إليها، وكانت هذه الدور كثيرة ومتعددة»[٢].

وقد كانت الكتب من أعظم ما يُهدى بين المتعلمين المثقفين، فهذا الحافظ ابن حجر[٣] رحمه الله تعالى يتحدث عن أحد علماء المسلمين ـ وهو ابن الفوطيّ[٤] ـ فيقول: «كان له نظم حسن وخط بديع جداً، ملكتُ بخطه «فريدة القصر» للعماد الكاتب[٥] في أربعة مجلدات في

---

(١) المصدر السابق.

(٢) «مجلة الأزهر»: المجلد ٣٢، العدد ٥، ص٥٠٤، سنة ١٣٨٠.

(٣) هو أحمد بن علي بن محمد، الإمام الحافظ. كان قد تفرد بعلوم الحديث في زمانه، وله فيه المصنفات البديعة. توفي سنة ٨٥٢. انظر ترجمته في «الضوء اللامع»: ٢/ ٣٦ ـ ٤٠.

(٤) عبد الرزاق بن أحمد بن محمد الصابونيّ المعروف بـ (ابن الفوطي) المروزي الأصل الشيباني البغداديّ أبو الفضل، مؤرخ فيلسوف. ولد ببغداد سنة ٦٤٢ وأسر مع هجمة التتار عليها وتخلص بعد ذلك. له مصنفات ونظم جيد. وكانت في دينه رقَّة، وله هنات وبوائق. توفي ببغداد سنة ٧٢٣. انظر «الأعلام»: ٣/ ٣٤٩ ـ ٣٥٠.

(٥) عماد الدين أبو محمد بن حامد الأصفهاني، أحد الكتاب البلغاء. توفي سنة ٥٩٧. انظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء»: ٢١/ ٣٤٥ ـ ٣٥٠.

قطع كبير، وقدمتها لصاحب اليمن، فأثابني عليها نوالاً جزيلاً جداً»[١].

وقد كان للكتب سوق خاص تباع فيه حتى إن بغداد كان فيها أكثر من مئة متجر لهذا الغرض، وكذلك كان الحال في قرطبة[٢].

وقد كان الناس يتفاخرون بما عندهم من الكتب كما يتفاخر الناس اليوم بأموالهم وعقاراتهم، فهذا والد ابن سعيد الأندلسيّ يتحدث عن قرطبة فيقول: «وهي أكثر بلاد الأندلس كتباً، وأشد الناس اعتناءً بخزائن الكتب، صار ذلك عندهم من آلات التعيُّن[٣] والرئاسة، حتَّى أن الرئيس منهم الذي لا تكون عنده معرفة يحتفل في أن تكون في بيته خزانة كتب وينتخب فيها[٤]، ليس إلا أن يقال: فلان عنده خزانة كتب، والكتاب الفلاني ليس هو عند أحد غيره، والكتاب الذي هو بخط فلان قد حصَّله وظفر به»[٥].

فإذا كان حال العوام كذلك فكيف هي حال المثقفين وطلبة العلم؟.

تلك كانت بعض الصور التي تبين اهتمام المسلمين بالكتب وحرصهم على اقتنائها.

أهمية الكتب:

أما أهمية الكتب فهي غنية عن التعريف والتقعيد ولكن أسوق نصاً

---

(١) من مقالة الدكتور علي نور الدين الآنفة الذكر.
(٢) المصدر السابق.
(٣) أي الآلات الموصلة للفرد ليكون من الأعيان.
(٤) أي يتخير لها محاسن الكتب.
(٥) المصدر السابق نقلاً عن «نفح الطيب»: ١/ ٤٦٢.

للجاحظ[١] يبين أهمية الكتاب، إذ يقول: «نعم الجليس والعُدَّة . . . ونعم الأنيس لساعة الوحدة، ونعم المعرفة ببلاد الغربة، ونعم القرين والدخيل، ونعم الوزير والنزيل.

والكتاب وعاء مُلئ علماً، وظَرْفٌ حُشيَ ظَرْفاً، وإناء شُحن مُزاحاً وجداً إن شئت كان أَبْيَنَ من سَحبان وائل[٢]، وإن شئت كان أعْيا من باقل[٣]، وإن شئت ضحكت من نوادره، وإن شئت عجبت من غرائب فرائده، وإن شئت ألهتك طرائفُه، وإن شئت أشجتك مواعظه. .

من لك بمؤنس لا ينام إلا بنومك، ولا ينطق إلا بما تهوى. . . أكتم للسر من صاحب السر. . . وأحفظ لما استحفظ من الآدميين.

ولا أعلم جاراً أبرَّ، ولا خليطاً[٤] أنصف، ولا رفيقاً أطوع، ولا معلِّماً أخضع، ولا صاحباً أظهر كفاية، ولا أقلَّ جنايةً، ولا أقلَّ إملالاً وإبراماً. . . ولا أقلَّ خلافاً وإجراماً، ولا أقلَّ غيبةً. . . ولا أبعد من مراء، ولا أتركَ لشَغَب، ولا أزهدَ في جدال، ولا أكفَّ عن قتال من كتاب[٥].

---

(١) هو عمرو بن بحر بن محبوب البصري المعتزلي. إمام البلاغة، العلامة المتبحر ذو الفنون. كان ماجناً، قليل الدين، له نوادر. توفي سنة ٢٥٥ بعد أن عُمِّر. انظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء»: ١١/ ٥٢٦ ـ ٥٣٠.

(٢) أحد المشهورين بالفصاحة، واسمه سحبان بن زفر الوائلي. أسلم في حياة النبي ﷺ ولم يره. توفي سنة ٥٤. انظر «الأعلام»: ٣/ ٧٩.

(٣) أحد المشهورين بعدم القدرة على التعبير، وهو العيّ، وكان من إياد، وهو جاهلي لم يدرك الإسلام، انظر «الأعلام»: ٢/ ٤٢.

(٤) الخليط بمعنى المخالط.

(٥) قوله: «من كتاب» متعلقٌ بقوله: «ولا أعلم».

ومن لك بمسامر لا يبتديك في حال شغلك، ويدعوك في أوقات نشاطك، ولا يُحْوِجك إلى التجمل له والتذمم منه[١].

ومن لك بزائر إن شئت جعل زيارته غِباً، ووروده خِمْساً[٢]، وإن شئت لزمكَ لزوم ظلك، وكان منك مكانَ بعضك.

والكتاب هو الجليس الذي لا يُطريك[٣]، والصديق الذي لا يُغريك... ولا يعاملك بالمكر، ولا يخدعك بالنفاق، ولا يحتال لك بالكذب...

والكتاب هو الذي إن نظرتَ فيه أطال إمتاعك، وشحن طباعك، وبسط لسانك، وجوَّد بنانك، وفخَّم ألفاظك.. ومنحك تعظيم العوام وصداقة الملوك، وعرفت به في شهر ما لا تعرفه من أفواه الرجال في الدهر، مع السلامة من الغُرم، ومن كدِّ الطلب....

والكتاب هو الذي يطيعك بالليل كطاعته بالنهار، ويطيعك في السفر كطاعته في الحضر، ولا يَعتلُّ بنوم، ولا يعتريه كَلال السفر[٤]...

ولو لم يكن من فضله عليك وإحسانه إليك إلا منعُه لك من الجلوس على بابك، والنظر إلى المارَّة بك، مع ما في ذلك من التعرض للحقوق التي تلزم، ومن فضول النَّظر، ومن عادة الخوض فيما لا يعنيك، ومن ملابسة[٥] صغار الناس، وحضور ألفاظهم

---

(١) الاستنكاف والأنَفَة. «القاموس المحيط»: «ذمم» و «نكف».

(٢) أصل «الخمس» الإبل التي ترعى ثلاثة أيام وترد [أي الماء] الرابع، المصدر السابق: «خَمس». والمعنى ـ المراد هنا ـ «غبّاً» و «خِمْساً»: الزيارة المتقطعة غير الدائمة.

(٣) يحسن الثناء عليك. المصدر السابق: «طرو».

(٤) الكَلال: التعب.

(٥) الملابسة: المخالطة.

الساقطة، ومعانيهم الفاسدة، وأخلاقهم الرديّة، وجهالاتهم المذمومة، لكان في ذلك السلامة[١] ثم الغنيمة. . . ولو لم يكن في ذلك إلا أنه يشغلك عن سُخف المنى وعن اعتياد الراحة، وعن اللَّعب، وكلَّ ما أشبهَ اللَّعب، لقد كان على صاحبه أسبغَ النعمة وأعظم المنَّة[٢].

وقال أحد الشعراء مادحاً الكتب:

هـم مـؤنـسـون وأُلاّف غَـنِـيـتُ بـهـم
فـلـيـس لـي فـي أنـيـس غـيـرهـم أَرَبُ[٣]

لله مــن جــلــســاء لا جــلــيــســهــمُ
ولا عــشــيــرهــم لــلــســوء مــرتــقِــبُ

لا بـادراتِ الأذى يـخـشـى رفـيـقـهـم
ولا يـلاقـيـه مـنـهـم مـنـطـق ذَرِبُ[٤]



(١) قوله: «لكان في ذلك السلامة» متعلق بقوله: «ولو لم يكن في فضله عليك وإحسانه إليك إلا . . .».

(٢) «الحيوان»: ١/٣٨ ـ ٤٢، ٥٠ ـ ٥٢.

(٣) أي: حاجة ومطلب.

(٤) مقالة «دُور الكتب وأثرها في الثقافة الإسلامية»: «مجلة الأزهر»: المجلد ٣٢، العدد ٥، ص٥٠٤، سنة ١٣٨٠. والمنطق الذَرِب: أي سوء المقال وطول اللسان.

تعريف القراءة

«القراءة عملية عقلية تشمل تفسير الرموز التي يتلقاها القارئ عن طريق عينيه، وتتطلب هذه الرموز فهم المعاني، كما تتطلب الربط بين الخبرة الشخصية وهذه المعاني»[(١)].

«فالقراءة إذاً ليست عملية [سهلة] كما تظهر لأول وهلة، لكنها عملية تشترك في أدائها حواس وقوى وقابليات مختلفة عديدة، ولخبرة الفرد أيضاً ولمعارفه الأولية ولذكائه عمل لا يُستهان به في القراءة»[(٢)].

والقراءة عبر أي وسيلة تظل هي القراءة؛ إذ اليوم تدور مناقشات فكرية طويلة بين المثقفين حول تقلص القراءة ـ عالمياً ـ من الكتب، واتجاه الكثير إلى ما يسمى بالكتاب الإلكتروني، أي الكتب الموضوعة في الأقراص المدمجة، أو التي في الإنترنت، والذي ينبغي أن يهتم به ويُراعى مطلقاً هو نشر عادة القراءة وبثها في المجتمع وأفراده، سواء عن طريق الكتاب المقروء أو الإنترنت أو الأقراص المدمجة أو غير ذلك من وسائل اكتشفت أو ستكتشف في المستقبل.

قال الدكتور عبد القادر طاش تحت عنوان: الكتاب الإلكتروني بين الرفض والقبول: «بدأت ظاهرة الكتاب الإلكتروني تنتشر في

---

(١) «القراءة»: ٧.

(٢) «تعليم مبادئ القراءة»: ١٤.

المجتمعات المتقدمة، وبالمقابل أخذ الإقبال على اقتناء الكتب والمجلدات المطبوعة يتقلص ويتراجع، ويبدو أن الكتاب الإلكتروني سيكتسح العالم عما قريب بفضل انتشار وسائل الاتصالات والمعلومات الجديدة، وكلما انتشر استخدام شبكة المعلومات الدولية «الإنترنت» أسهم ذلك في زيادة اتجاه الناس نحو الكتاب الإلكتروني.

وتعود فكرة تصنيع الكتب الإلكترونية كما تذكر مجلة «الجديدة» في عددها ٦٨٣ إلى الأمريكيَين «مارتن ايبرها» و«مارك تاربنينج» اللذين قاما بافتتاح مشروع للكتب الإلكترونية.

وقد تهافتت على مشروعهما العديد من الشركات المتخصصة في الصناعة الإلكترونية، وتكهنت مجموعة «غارتنز» التي تعتبر من أشهر الشركات المراقبة لسوق الإلكترونيات في العالم بسيطرة الكتب الإلكترونية على سوق المطبوعات وتحولها إلى أشهر تجارة في القرن القادم.

وقد أعجبتني مناظرة صحفية طريفة جرت بين متحمس للكتاب الإلكتروني ومدافع عن الكتاب المطبوع نشرتها صحيفة «الجاردين» البريطانية مؤخراً: المتحمس للكتاب الإلكتروني وهو «سايمون والدمان» محرر صفحة الإنترنت بـ «الجارديان» أما المدافع عن الكتاب المطبوع فهو «براين لانغ» المسؤول عن المكتبة البريطانية.

كانت المناظرة على شكل رسائل متبادلة بين «والدمان» و «لانغ» يحاول كل منهما إبراز مميزات ما يدافع عنه، والإشارة إلى سلبيات الوسيلة الأخرى.

يقول «والدمان»: إن السؤال الحقيقي هو ما إذا كانت الكلمة

المطبوعة قادرة على المنافسة الفعالة للوسائل الإلكترونية الحديثة، والجواب في نظره هو: لا؛ فالكتاب المطبوع يحد من حرية المعرفة، كما أنه يجعلها في معزل عن التطور المتواصل في واقع الحياة، وعلى العكس من ذلك تتيح الوسائل الإلكترونية للمعرفة مزيداً من الانتشار وحرية الانتقال، ويجعلها بذلك معرفة معولمة ومتجددة على الدوام.

أما «لانغ» فبالرغم من اعترافه بميزات الإنترنت والوسائل الإلكترونية الأخرى وبخاصة في إعطاء المعرفة فرصة الحداثة والتجدد، إلا أنه يؤكد على أن دور الكتاب المطبوع سيبقى مؤثراً، ويذكر «لانغ» بأن التاريخ يشهد على أن الوسائل الجديدة لم تقض على القديمة بالكلية.

ويقول: إن الإنسان يتمتع بارتباط عاطفي عميق مع الكتاب المطبوع، ولا يمكن أن يتلاشى هذا الارتباط بسهولة ويسر.

ويضيف بأن الكتاب المطبوع أسهل تناولاً واستعمالاً؛ لأنه لا يحتاج إلى تجهيزات، ويمكن استخدامه في أي مكان.

ويرد «والدمان» بأن الكتاب الإلكتروني أقل تكلفة من الناحية الاقتصادية، كما أنه لا يحتل حيزاً مكانياً كبيراً إذ يمكن وضع آلاف الكتب في أسطوانات مدمجة تحفظ في درج مكتب صغير.

إن المشكلة في رأينا لا ينبغي أن تنحصر في هذا الجدل حول الوسيلة بل الواجب أن يتم التركيز على المضمون، ولذلك علينا أن نتساءل عن كيفية تنمية نوازع البحث عن المعرفة والسعي من أجل الحصول عليها في سلوك أجيالنا الجديدة، ولا بأس بعد ذلك أن يحصلوا على تلك المعرفة سواء من الكتاب المطبوع أو الوسائل

الإلكترونية الحديثة، المهم أن يبقى حب المعرفة وأن لا يتزعزع الاهتمام بالبحث عنها والاستفادة منها؛ لتحقيق التقدم، والسعادة للفرد والمجتمع(١).




(١) «جريدة المدينة»: عدد الثلاثاء: ٦/ ٥/ ١٤٢٠.

أهمية القراءة

للقراءة أهمية بالغة في بناء الثقافة بشطريها: الإنسانيّ والإسلاميّ.

وهي الصلة بين الإنسان وبين المعارف والعلوم قديمها وحديثها.

وهي الوسيلة الأساسية في ملء الفراغ وإشباع الميول والرغبات الثقافية.

ولا زالت القراءة أهمَّ وسيلة موثَّقة لنقل المعلومات في عصرنا المليء بالوسائل الإعلامية التقنية المتقدمة؛ إذ التلفاز والمذياع وما يشابههما لا يستطيعان بناء الثقافة المتنوِّعة الهادفة لطالب العلم الجاد النافع، ولكنهما يشاركان الكتاب في ذلك بلا شك.

والقراءة الجادة الهادفة عند شباب الأمة من مظاهر الجدِّ في تحصيل أسباب الرفعة والنهضة والتقدم، واللحاق بركب الحضارة الذي تخلفنا عنه.

القراءة والتثقيف الذاتي:

وهذه قضية مهمة خاصة في هذا العصر الذي عَسُر فيه الأخذ عن المشايخ، أو الدراسة العليا النظامية على كثير من الناس.

يقول أحد الأساتذة شارحاً هذه الفكرة: «يمكن للقارئ العادي أن يثقف نفسه لو توافر له الميل إلى القراءة المفيدة المحبوبة؛ التي تهدف

إلى غرض ثقافي واحد، وليست تلك التي يقصد بها التسلية وقطع الوقت.

وقد طرق كثير من المفكرين والفلاسفة موضوع التثقيف الذاتي فقال «لوك»: «للتهذيب الذاتي ثلاثة طرق تبتدئ الواحدة من حيث تنتهي الأخرى:

الأولى: قراءة الكتب وإدراك معانيها.

الثانية: التفكير والتأمل في تلك الأفكار والمعاني.

الثالثة: التحدُّث مع الناس بها واختبار سقيمها من صحيحها وسليمها من فاسدها».

ويرى الفيلسوف النفساني «وليم جيمس» ثلاثة طرق أخرى للتثقيف الذاتي وهي:

١ـ إتقان اللغة القومية إتقاناً يمكن الفرد من التعبير عما يدور برأسه من أفكار وآراء تعبيراً صحيحاً.

ويقول: «باوند» ـ عميد هارفارد ـ في هذا الخصوص: «الرجل الذي لا تبلغ غرائزه اللغوية النضج لا يمكن أن يفكر تفكيراً متقناً أو يصل إلى نتائج دقيقة».

٢ـ استيعاب ما يمكن استيعابه من أنواع المعارف المختلفة حتى يمكنه مسايرة الثروة العقلية التي وصل إليها عصره.

٣ـ تكوين مبادئ وعادات تخلق منه رجلاً كاملاً خليقاً بما استوعب من ثقافة.

ويعرض «أرنولد بنيت» اقتراحين عامين لتثقيف النفس بالقراءة وهما:

١ـ عين اتجاه جهودك ومداها، واختر فترة معينة أو موضوعاً معيناً أو مؤلفاً واحداً وقل لنفسك مثلاً: أريد أن أعرف شيئاً عن الثورة الفرنسية أو عن اختراع السكك الحديدية أو.. وتفرغ في زمن معين لما وقع عليه اختيارك؛ فإن متعة عظيمة تستفاد من التخصص.

٢ـ فكر واقرأ في آن واحد، فإني أعرف أناساً يقرؤون ويفكرون كثيراً ولا يستفيدون شيئاً، ذلك لأنهم يجوبون أقاليم الأدب في سيارة وكل همهم الحركة، ويفتخرون بعدد ما قرؤوا من كتب في العام.

ويقول «أندريه مورو»: «لا تهمل آراء الأجيال التي سبقتك؛ بل يجب أن تُعنى عناية خالصة بالكتب القديمة الخالدة، ولنثق بما اختارته القرون السالفة من روائع الكتب، فقد يخطئ الاختيار رجلٌ واحد وقد يخطئه جيل واحد، ولكن الأجيال لا تخطئ جميعاً فشكسبير وموليير جديران بما نالا من مجد خالد على الدهر، ومن الضروري أيضاً أن نهتم بالكتاب المعاصرين لأننا بدون شك نجد فيهم أصدقاء يشعرون بما نشعر ويحتاجون لما نحتاج إليه».

فيما تقدم آراء مختلفة تصلح جميعاً أن يعمل بها للتثقيف الذاتي[1].

وللدلالة على تخلفنا في الثقافة عموماً والقراءة الهادفة خصوصاً أسوق بعض ما كتبه الدكتور عباس محجوب ناعياً القراءة والقارئين:

(إن المرء يحز في نفسه أن يتناول كتاباً من مكتبة عامة ويكون أول من يفتح أوراقه للقراءة، مع بقائه سنوات عدة في المكتبة نفسها، بل إن الأمر يصل إلى الجامعيين وحملة الشهادات فوق الجامعية حينما

(١) مجلة «الرسالة»: العدد ٨٤٢، السنة ١٧، ٢٧ شوال سنة ١٣٦٨ص: ١٢٥٥ ـ ١٢٥٦.

تحس بضعف ثقافتهم العامة ومحدوديتها واقتصارهم في العلم على ما نشر في الصحف والمجلات. . .

ويمكن للأنموذج الذي قدم في رسالة علمية من أحد الباحثين من أبناء ـ على الطلاب الخرِّيجين من جامعة ـ أن يعطي صورة لعلاقة الطالب بالكتاب في بعض البلدان العربية؛ إذ أثبتت هذه الإحصائية أن ٧٢٪ من خريجي الجامعة لم يستعيروا كتاباً واحداً من مكتبة الجامعة، طوال حياتهم الجامعية. وليس هناك كارثة يمكن أن تلمَّ بالشباب أكثر من ذلك)[١].

وهناك مسألة مهمة ألا وهي وقوف الشباب في القراءة عند حد محدود بأيام الدراسة والتحصيل فقط، بل الأدهى من ذلك هو أن عدداً كبيراً من أصحاب المؤهلات العليا إذا حازوا مؤهلهم وقفوا عنده ولم يتجاوزوه. وتوقفت قراءاتهم واطلاعاتهم عند هذا الحد، فكيف غاب عنهم أن ما حازوه هو بداية الانطلاق نحو الإبداع والتميّز والعطاء الجدي المفيد المتخصص، وأن طريقهم إلى هذا الأمر لا يتم إلا بمواصلة القراءة والعكوف على الكتب، قال أحد الأساتذة:

(يخطئ شبابنا المتعلم عندما يظن أن أيام الدراسة هي مرحلة القراءة والاطلاع[٢]، إننا عندما نقطع أكبر مرحلة دراسية لا نكون قد قبضنا على زمام الحياة؛ بل نكون قد بنينا لأنفسنا أساساً صلباً يمكننا أن نثبت عليه أقدامنا لنسير في الحياة نحو الكمال حتى الشوط الأخير فيها، ولا يمكننا أن نساير روح العصر الذي نعيش فيه في مرحلة

(١) «مشكلات الشباب، الحلول المطروحة والحل الإسلامي»: ٥١.
(٢) أي: أيام الدراسة فقط كما هو ظاهر السياق.

عمرنا إلا بالقراءة المستمرة و الوقوف على أسرار الحياة المختلفة التي يميط العلم اللثام عنها كل يوم ويُظهر منها شيئاً جديداً كان مجهولاً، ويموت الشخص عقلياً عندما يقف عند حد محدود من ثمار العقل البشريّ ويتخلف عن قافلة زمانه الذي يعيش فيه)[١].

وقال الدكتور عبد القادر طاش في مقالته اليومية تحت عنوان: نعم العرب لا يقرؤون:

(أثار الزميل الأستاذ عبد الوهاب محمد كاشف مدير عام وكالة الأنباء الإسلامية قضية انحسار قيمة القراءة في مجتمعاتنا العربية، وتساءل في مقالته بـ «المدينة»: هل حقّاً العرب قليلاً ما يقرؤون؟!

وأورد أمثلة تدلُّ على أنّ المثقّفين العرب لا يقرؤون إلّا قليلاً، وربما يكتفي كثيرون منهم بتقليب صفحات الكتب والصحف والمجلات فقط! فإذا كان هذا هو حال المثقفين فماذا يمكن أن نقول عن فئات المجتمع الأخرى؟!

وأحسن الزميل الكريم في تزويدنا بإحصاءات وأرقام مذهلة عن نسبة إقبال العرب على مطالعة الصحف وردت في موسوعة «ألماناك ١٩٩٩م». وأورد كذلك أرقاماً أخرى عن بعض الدول الإسلامية، ثم قارَن ذلك بما هو موجود في المجتمعات الغربية من إقبال طيِّب على القراءة.

وهذا أمرٌ صحيح، فالقراءة في الغرب ما زالت بخير بالرغم من منافسة الوسائل الإلكترونية الجديدة كالتلفزيون والإنترنت، وقد أوردت وكالات الأنباء قبل أيام تصريحاً لرئيس اتحاد الكتاب الألماني قال

---

(١) مجلة «الرسالة» العدد ٨٤٢، السنة ١٧، ٢٧ شوال، سنة ١٣٦٨، ص١٢٥٤.

فيه: إنّ الاتحاد حقق في مبيعاته العام الماضي زيادة طفيفة بلغت نسبتها ١,٨٪ مقارنة بالعام الذي سبقه، وبالرغم من قلة هذه النسبة إلا أنه يكفي أن مبيعات الكتب لم تنخفض كما هو حاصل في المجتمعات الأخرى.

وتدل الأرقام أيضاً على أن نسبة الإصدارات الجديدة من الكتب قد ارتفعت ارتفاعاً طفيفاً أيضاً، فقد تم في العام الماضي إصدار نحو ٧٨ ألف عنوان جديد ليسجل الاتحاد بذلك زيادة بلغت نسبتها ٢٪ عن العام الذي سبقه، والجدير ذكره أن دور النشر الألمانية قد سجّلت رقماً قياسياً في إصداراتها من الكتب في عام ١٩٩٧م، إذْ بلغت نسبة الزيادة فيما أصدرته من الكتب نحو ٨,٩٪ عن العام الذي سبقه.

ويحق للألمان أن يطمئنوا على أن قيمة القراءة لا تزال تصارع من أجل البقاء في ظل ظروف بالغة الصعوبة، أما نحن فلا بد أن ندقّ نواقيس الخطر من تدهور هذه القيمة يوماً بعد يوم وبخاصة في صفوف شبابنا وناشئتنا من الأجيال الجديدة.

ولذلك لم تكن مفاجأة لنا تلك النتيجة المؤلمة التي توصل إليها الزميل الصحفي محمد باوزير عن مصير الكتاب في تحقيقه الميداني الذي نُشِرَ في الأربعاء (٢٢/ ٤/ ١٤٢٠هـ) حيث يقول: إن جولته في المكتبات ودور النشر في جدة أثبتت له أن الكتاب يعاني من الوحدة في زوايا النسيان!

وأُؤكِّد هنا ما ذكرته في مقالة سابقة من أن ثقافة القراءة تنحسر في حياتنا المعاصرة؛ وذلك لأننا لم نعد نهتم اهتماماً جدياً بزرع الرغبة في القراءة في نفوس أطفالنا منذ الصغر، ولم نعد نهتم بتدريبهم في

مدارسنا وبيوتنا على أن تصبح القراءة سلوكاً اجتماعياً لا غنى لهم عنه)[١].

(إن المتعلمين ـ عندنا ـ قليلو القراءة؛ فإنّه ليندر أن ترى أطفال المدارس الابتدائية وتلامذة المتوسطات والتجهيزات وحتى طلبة الجامعة يقرؤون شيئاً غير ما يطالبون به من كتب مقررة في مناهج دروسهم، حتى قراءة التسلية والفراغ التي يعمد إليها بعض الهواة لا يصطفونها إلا بعد أن يكونوا قد استنفدوا كل وسائل اللهو والمتع والرياضة، ومع ذلك فكم من فئة تستشفي من الأرق بهذا العلاج المعنوي وتتخذ القراءة سبيلاً إلى التخلص من الضجر أو السأم أو الملل. . .

أما الناس في بلاد الناس فيقرؤون؛ فالولد الصغير والغلام اليافع والشاب الناشئ والرجل الكهل والشيخ الهرم نساءً ورجالاً على اختلاف مهنهم، ورجل الشارع وصاحب الاختصاص جميع أولئك يطالعون ويتصفحون جرائد ونشرات ورسائل وكتباً وروايات ودراسات جدية في الدار وفي الحافلة وفي المكتبة وفي الطريق، يقبلون على ذلك في نهم عجيب يستثير الفضول ويدعو إلى الدهشة)[٢].

وها أنذا أسوق نصَّاً يبين أهمية القراءة للفرد والمجتمع:

(والحقيقة أن مجتمعاً قليل الكتب ومحدودها، ونادر الكتاب والقُراء لهو مجتمع يستحق الرحمة؛ إذ في مجتمع مثل هذا تضعف

---

(١) «جريدة المدينة»: عدد الإثنين ٥/ ٥/ ١٤٢٠هـ.

(٢) «المعلم العربي»: السنة ٨، العدد الثاني والثالث، ص١٦٨، ١٦٩. وإذا علمنا أن صدور هذا العدد سنة ١٩٥٤ فسيطول العجب؛ إذ القوم مقبلون منذ زمان قديم على القراءة، وهذا سر نهضتهم، والله أعلم.

القوى العقلية عند الأفراد، كما تضعف الروابط الفكرية بينهم فينكمشون على أنفسهم وينعزلون ويصبحون ولا قدرة لهم على الاستفادة من خبرات الآخرين وتجاربهم، وهكذا تنقطع صلتهم بالنتاج الفكري الإنساني الذي يمهد لكل مجتمع طريق الحياة والرقي، فيسيرون بخطا سريعة نحو التأخر والزوال.

وتزداد حاجة الفرد والمجتمع معاً للقراءة كلما ازدهرت الحضارة وتشعبت أطرافها، وتعددت مناحيها، وكثرت وجوهها، واختلفت ألوانها)[١].

(إن الفرد الذي يحضره الملل إلى كسب المعرفة وتدريب خياله عن طريق القراءة هو إنسان سيمضي في تربية نفسه وتثقيفها طول حياته، وبدون ذلك يقف الفرد عن الاغتراف من حكمة الماضي وخبرات التراث الفكري في الحاضر، وكلما امتد به العمر أضحى يعيش في جو عقليّ هزيل أجوف، ألستَ ترى كثيراً من الناس يبدو الواحد منهم وكأنه يعيش في فراغ عقليّ فلا حياة فيه إلا حياة الجسد.

إن القراءة الجيدة خمسة عشر دقيقة [كذا] على الأقل في كل يوم كفيلة أن تبعث الحياة الإنسانية في هؤلاء الموتى، وإن رقي الجماهير. . . إنما هو رهنٌ بغرس الميل إلى القراءة فيهم في المدارس.

ولسنا نغالي إذا قلنا: إن كل رجل عظيم قارئ عظيم، وقليل هم الذين لا يشيرون إلى قراءتهم وما كان لها من أثر عميق في تربيتهم

(١) «تعليم مبادئ القراءة»: ٣.

وترقيهم، والحق أن القراءة قامت بدور أساسيّ في حياة الرجال البارزين في كل ميدان)[١].

(والحق أننا لا نبالغ إذا قلنا: إن القراءة تلعب في حياتنا الداخلية دور الأم، ومع أن هذا القول يبدو غير مقبول إلّا أنه يستند إلى أسس سهلة وملموسة؛ فالقراءة تغذِّي وتهدهد وتواسي وتُعنى وتشفي وتثقف وتقارب وتشجع، أوَ ليس هذا كله من عمل الأم، إن الفكر الناشئ وسط القراءات لهو الوليد بين ذراعي أمه)[٢].

وإليك أخي كلاماً جميلاً ـ على طوله ـ لأحد الدعاة مبيناً فيه أهمية القراءة للمسلم الملتزم الداعية على وجه الخصوص:

(إن من مصائب أمتنا اليوم أنها لا تقرأ، ومع ذلك فلا يتجه هذا الخطاب لها؛ لأن طريق الاستدراك طويل، ويبدأ بيقظة من دعاة الإسلام ليقودوا البقيَّة، وإنما الخطاب متجه لهذه الخاصَّة الرائدة القائدة ولفتيان الدعوة الميامين، هم قادة المستقبل؛ فنعم الفتيان فتيان الدعوة لو قرؤوا.

لقد عرفت شباب الإسلام وصاحبتهم واقتربت منهم فوجدتهم من أنقى الناس سريرة، وأنصعهم طهراً، وأصفاهم عقيدة، وأجزلهم وعياً، ورأيت منهم تشميراً على الخير في حرص دائب، وفراراً إلى الله تعالى من خلال طريق لاحب[٣] لكنها كثافة المطالعة تنقصهم، ولو أنهم أَحْنَوْا ظهورهم على كتب التفسير والحديث والفقه والتاريخ طويلاً،

---

(١) «مجلة المعلم العربي»: العدد الأول والثاني، السنة الحادية عشرة: ص٨٢ ـ ٨٣، سنة ١٩٥٧م.

(٢) المصدر السابق: العدد الثالث والرابع، السنة ١٧: ص٧٦، سنة ١٩٦٤م.

(٣) أي واضح بيِّن: انظر «المعجم الوسيط»: ل ح ب.

واكتالوا لهم من الأدب والثقافة العالمية العامَّة جزيلاً لكملت أوصافهم ولتفردوا في المناقب.

وإني لأعجب من دعاة الإسلام الذين أراهم اليوم، كيف يجرؤ أحدهم على إطالة العنق في المجالس، والنشر في الصحف قبل أن يجمع شيئاً من البيان جمعه الطبريّ في «تأويل آي القرآن»، وقبل أن يرفع له رايةً مع ابن حجر في «فتحه»، ولم ينل بعدُ من رفق «أم» الشافعي وحنانها، ولا كان له انبساط مع السرخسيّ في «مبسوطه»، أو موافقةً للشاطبيّ في «موافقاته»؟.

وكيف يسرع داعية إلى ذلك وهو لم يكثر من مطالعة كتب الأدب العربي القديم، ولم يعكف مع الجاحظ وأبي حيَّان، أو ابن قُتيبة وأديبي أصفهان[1]؟.

وأعجب أكثر من هذا لداعية أُثير حماسته لهذه العلوم والآداب فيقول: ليس لي وقت، كأنه غير مطالب بإتعاب نفسه تعباً مضاعفاً ولا شُرع له السهر)[2].

(١) يقصد أبا الفرج والراغب الأصبهاني، وعلى القارئ الانتباه من كتب أبي الفرج خاصة لما فيها من طوامّ.

(٢) من مقالة الأستاذ الراشد في مجلة «المجتمع»: العدد ٤٦٤.

أسباب العزوف عن القراءة

الناظر في أحوال أمتنا يرى عزوفاً أليماً من مثقفيها ومتعلميها ومن سائر أفراد المجتمع عامة عن القراءة الجادَّة المثمرة؛ إذ غاية ما يقرؤونه هو الصفحات الرياضية والفنية في الصحف، وكتب غثائية هشة المعاني والمضامين لا تؤسس علماً ولا تبني ثقافة جادَّة تحتاجها الأمة للخروج من أزمتها الحضاريَّة.

(ومن المظاهر التي تسترعي الانتباه وتثير التساؤل العريض ما نراه من ضعف الإقبال على القراءة والمطالعة، وما نشهده من زهد بهما لدى الجمهرة الكبرى من الناس في مختلف سني العمر. . . فهم في معظمهم لا يعرفون متعة القراءة ولا يشعرون بالحاجة إلى التنقيب في كنوز الكتب. . .)[1].

والصارف عن القراءة إما أن يكون لأمر متعلق بالكتاب نفسه أو هو لأمر خارج عنه:

أ ـ فأما الصارف عن القراءة لأمر خارج عن الكتاب فأسبابه هي:

١ـ عدم تنظيم الوقت:

إن كثيراً من الناس يدّعي أنه لا يملك وقتاً كافياً للقراءة، فتمر عليه

(١) مجلة «المعلم العربي»: العدد الأول والثاني، السنة ١٥، ص٢٦ ـ ٢٧، سنة ١٩٦٢.

الأيام والشهور وهو لم يقرأ كتاباً ولم يُنم ثقافته تنمية تعود عليه بالنفع، وليس الغرض من هذا الكتاب الحديث عن تنظيم الوقت، فعلى المرء أن يعود إلى الكتب التي تحدثت عن أهمية الوقت وترتيبه حتى يجد لنفسه الزمان الكافي للقراءة، وهو واجد ذلك إن شاء الله؛ إذ أكثر الناس تضيع أوقاتهم في أعمال مرجوحة ومفضولة، والله أعلم.

٢ـ عدم اعتياد شغل الفراغ بالقراءة:

(كثيراً ما استوقفتنا ظاهرة جديرة بالتأمُّل والتدبر وهي ضيق كثير من الناس بأوقات الفراغ، والتماس تقضية هذه الأوقات في كل شيء ـ بل في أتفه الأعمال ـ إلا في القراءة.

ومن المشكلات النفسية الكبرى ـ في نظرنا ـ ما يعاني منه فريق كبير من الناس الذين لا يجدون ما يشغلهم ولم يربوا أنفسهم على عادة القراءة والمطالعة، فإذا بهم يجرون أذيال الفراغ، ويحارون في قتل الوقت، ويبتكرون من أجل ذلك ألواناً من المشاغل، أو يحشرون أنفسهم في مجالات لا شأن لهم بها.

ولئن كانت مسألة شغل أوقات الفراغ من المسائل الهامة التي يعنى بها كل مجتمع من أجل سلامة أفراده وحسن صحتهم النفسية والجسدية فمما لا شك فيه أن هذه المسألة في بلادنا من كبريات المسائل، وأنها مصدر كثير من القلق والفوضى والضعف، ويزيد في تعقد هذه المسألة عندنا أن القراءة نفسها بعيدة عن مشاغل الناس واهتماماتهم، وأنها لا تستطيع أن تحل جانباً من مشكلة قضاء وقت الفراغ. . .)[١].

(١) المصدر السابق، ص٢٧. ولئن عرفنا أن هذا الكلام كان سنة ١٩٦٢ أي قبل قرابة أربعين عاماً فسيطول عجبنا؛ لأن المشكلة ما زالت قائمة، والله تعالى أعلم.

٣ـ تعدد الوسائل الإعلامية الجذابة التي تملأ فراغ الناس وتصرفهم عن القراءة:

فالتلفاز والأشرطة المرئية «الفيديو» والمسموعة، والأطباق الهوائية بقنواتها الكثيرة التي تقدم موادَّ متنوعة آناء الليل وأطراف النهار؛ كلّ ذلك صارف بقوَّة عن القراءة والاهتمام بها.

وفي دراسة لمنظمة «اليونسكو» ذُكر أن (الإنسان المعاصر يمضي أمام الشاشة الصغيرة ـ يومياً ـ أكثر من ثلاث ساعات، وهذا الرقم الذي قدمته دراسات منظمة «اليونسكو» يشمل أيضاً الشباب في العالم العربيّ، لذلك رأينا أنه من المفيد الاطلاع على المدة التي يخصصها الطالب الجامعيّ للمطالعة، وقد جاءت النتيجة على النحو التالي:

الكويت: ساعة وخمس عشرة دقيقة.

المملكة العربية السعودية: ساعة وثلاثون دقيقة.

مصر: ساعة وثلاثون دقيقة.

سورية: ساعة وخمس وأربعون دقيقة.

لبنان: ساعتان وخمس عشر دقيقة.

الملاحظة الأولى التي تكشفها هذه المتوسطات هي أن الوقت المخصص للقراءة ـ عند الجميع ـ هو أدنى من الوقت المخصص للجلوس أمام الشاشة الصغيرة)[١].

ولا بُدَّ أن يُعلم أن الحاسوب قد شغل كثيراً من أوقات المثقفين الذين يفترض فيهم الاطِّلاع الواسع والقراءة الدائمة.

(١) دراسة لجريدة «الحياة»: عدد ١٢٥٢٠، بتاريخ ٥ صفر ١٤١٨.

٤ـ الإغراق في شؤون الرياضة:

اهتمام كثير من أفراد المجتمع بالرياضة ومشاهدة فرقها، ومتابعة أخبارها اهتماماً فاق الحدَّ المطلوب عاد عليهم بالأثر السيئ، إذ لم يعد يتوفَّر لهم الوقت الكافي للمطالعة الجادَّة المثمرة.

٥ـ اختلال كثير من المفاهيم:

يَعُدُّ أكثر الناس اليوم صاحب المال والجاه هو المتميز الفاضل، وما عداه هو المفضول، وهذا عامل مؤثر في الإقبال على الثقافة عموماً وحب القراءة خصوصاً.

والشباب ـ اليوم ـ لا يرون عائداً كبيراً من القراءة والانخراط في هذا السلك الثقافي؛ فالملاحظ أن أكثر المثقفين والكتاب فقراء، وكثير من التافهين يتقاضى الواحد منهم مئات الآلاف أو الملايين لقاء بضع دقائق من الإعلانات أو بضع ساعات من الجهد البدني! فهذا العامل مساعد على الانصراف عن التوجه إلى القراءة خاصة مع الأحوال المادية الصعبة التي يعيشها أكثر شباب المسلمين.

٦ـ قلة الوعي لدى العديد من أفراد المجتمع فيما يتعلَّق بأهمية القراءة لبناء الإنسان الجادّ المثقف الواعي بأحوال أمته ومجتمعه:

وهذا الأمر بحاجة إلى العلاج المركَّز منذ المراحل الدراسية الأولى حتى الفراغ من الدراسة الجامعيَّة، وبحاجة إلى تكاتف العلماء والمفكِّرين والمثقفين لتجاوز هذه المشكلة العويصة، والله أعلم.

٧ـ عدم اكتراث كثير من الناس بالجوانب السياسية والاقتصادية والعلمية والأدبية والدينية والاجتماعية في نطاق مجتمعه أو في مجتمعه الإسلاميّ الكبير:

وقلة الاكتراث هذه قد حرمته من مطالعة كثير من الكتب التي كُتبت في الجوانب المذكورة، وصرفته عن معالي الأمور إلى سفسافها ودناياها، وجعلته ضحل الثقافة إلى الغاية التي يُخجل منها.

٨ ـ هموم الفرد المتراكمة، وتطلعه إلى الوسائل التي تكفل له المعيشة الكريمة:

فهذا من العوامل القوية التي تصرفه عن المطالعة، وتفقده الرغبة فيها.

٩ـ جشع كثير من الناشرين وبعض المؤلفين:

مما يؤدي إلى غلاء غير معقول في سعر الكتاب وصَرْف القراء عن شرائه، ولو اقتنع الناشر أو المؤلف بربح أقل لعاد عليه وعلى القراء بالخير الكبير، وهذا الأمر متفاقم متزايد لا بد من وضع حد له لإيقاف هؤلاء الناشرين أو المؤلفين عند حد معين، فكما أن هناك دعوات لحفظ حقوق الناشرين والمؤلفين فإن هناك دعوات مماثلة لحفظ حقوق القراء وحمايتهم من ذلك الجشع.

١٠ ـ تقصير كثير من المثقفين والمفكرين، وأصحاب التوجيه من المدرسين ومدراء الجامعات والمدارس والمعاهد ووكلائها في توعية الفرد بأهمية القراءة.

ويمكن أن يعالج ذلك بإعطاء وقت أكبر لهذا الأمر في الحصص الدراسية اليومية، وإقامة ندوات مكثفة في كل قنوات الاتصال الممكنة حتى يصل الفرد إلى مستوى معقول من الإقبال على القراءة.

١١ـ تفشي الأمية في الوطن العربيّ:

وهذا يمنع الناس من الإقبال على القراءة وتذوق متعتها.

وقد أظهرت دراسة خاصة بـ «اليونسكو» أن نسبة الأمية في العالم العربي في الكبار البالغين ٤٢٪[١]، وهي نسبة خطيرة تعني أن نصف سكان العالم العربي أميون تماماً لم يقرؤوا حرفاً واحداً طيلة حياتهم، والنصف الآخر يتفاوت أفراده تفاوتاً بيناً في الإقبال على القراءة، والأغلب عليهم الضعف والسطحية في تناول المادة المقروءة.

واليابان على سبيل المثال قد تخلص من الأمية قبل نهاية القرن التاسع عشر، وزادت إصدارات الكتب الجديدة فيه على ٣٥ ألف إصدار سنوياً[٢]، وهو رقم هائل ساعد عليه انعدام الأمية في ذلك المجتمع، وإقبال الناس على القراءة.

١٢ ـ ضعف اللغة العربية عند كثير من الشباب:

مما يصرفهم عن قراءة الكتب، خاصة التراثية منها، ويجعل تذوقهم لجمال ما يقرؤون ضعيفاً لا قيمة له ولا أثر في النفس، فكم من شخص أقبل على القراءة لجمال المعاني وسلاسة الأسلوب، وكم من معرض عن كتب الكبار وذلك لأنه لم يفهم ما فيها من دُرَر ونفائس.

١٣ ـ جهل كثير من الناس بماضي أمته وعظمتها وبتاريخها وآداب لغتها:

وذلك يصرفه عن القراءة، خاصة قراءة كتب التراث، ويجعله مبهوراً بالحضارات المعاصرة الأخرى حريصاً على قراءة كل ما يتعلق بها.

---

(١) نقلاً عن أحد أعداد «الشرق الأوسط».

(٢) «القراءة أولاً»: ٤٤.

١٤ ـ اهتمام كثير من قطاعات المتعلمين بالمادة المتحصلة من المذكرات والمختصرات:

وذلك صرفهم عن التعامل المباشر مع الكتاب والتمتع بالبحث واستخراج ما في الكتب من درر.

هذه بعض الصوارف غير المتعلقة بالكتاب.

ب ـ أمَّا الصوارف المتعلقة بالكتاب فهي منقسمة إلى قسمين:

صوارف متعلقة بكتب التراث، وأخرى متعلقة بالكتب الحديثة:

١ ـ والصوارف المتعلقة بكتب التراث يمكن إجمالها في الآتي:

أ ـ الظن الخاطئ بأن كتب التراث مملة وجافَّة:

وهذا خلاف الواقع؛ إذ أن نسبةً قليلة من الكتب التراثية تصح فيها هذه المقولة، وكثير منها مشوق إلى حد كبير لكن بشرط أن يراعي القارئ مستواه الثقافي ومستوى الكتاب المقروء كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

ب ـ غلاء ثمن هذه الكتب، وعدم قدرة معظم قارئي العربية على شرائها[١]:

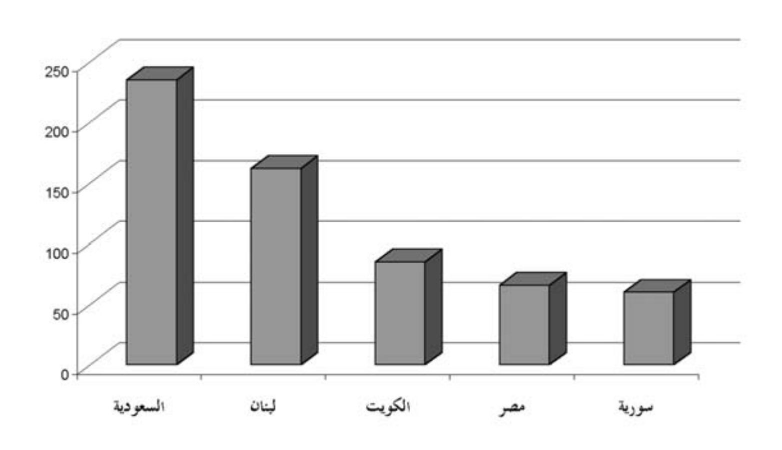
وهناك دراسة ميدانية جرت في بعض الدول العربية أظهرت التدني النسبي في شراء الكتب، وهذا له مردوده السلبي على الناشرين؛ إذ دورة إنتاج الكتب لا تكتمل إلا بمشاركة قارئ الكتاب وشرائه إياه بشكل مكثَّف ومتواصل[٢].

---

(١) هذا السبب مشترك في كتب التراث وغيرها لكنه هاهنا أظهر وأوضح.

(٢) جريدة «الحياة» عدد رقم ١٢٥٢٣، بتاريخ ٨ صفر ١٤١٨، بتصرف.

والرسم التالي يبين متوسط الإنفاق السنوي المخصص لشراء الكتب لدى مجموعة من المثقفين الجامعيين، وهو مستقى من الدراسة الميدانية نفسها:



متوسط الإنفاق السنوي على شراء الكتب

المملكة العربية السعودية	٢٣٥دولاراً	٣٩٪
لبنان	١٦٢دولاراً	٢٦٪
الكويت	٨٥دولاراً	١٤٪
مصر	٦٦دولاراً	١١٪
سورية	٦٠دولاراً	١٠٪

جـ ـ الشعور الخاطئ بأنه ليس في هذه الكتب ما يلبي رغبة القارئ أو ما يعالج قضاياه:

وهذا ـ غالباً ـ بسبب تقصير القارئ في البحث الجاد، أو الخطأ في اختيار الكتاب المقروء.

د ـ ضعف الكتاب:

بعض كتب التراث تصرف الناس عن قراءتها لِما فيها من سوء العرض والإخراج، وعدم التحقيق أو ضعفه، وكثيرة هي الكتب التي يُعاني مطالعوها بسبب ضعف طباعتها ورداءة حروفها وورقها، وعدم وضوح ونقاء كلماتها.

وبعضها فيه ضعف من حيث إن التصنيف في الأصل كان ضعيفاً، أو أنه أصبح ضعيفاً بعد مرور مئات السنين على أفكاره وقضاياه، فلم تعد تصلح للعصر حقاً.

هـ ـ الدعوة الآثمة في كثير من البلدان إلى التخلص من كتب التراث:

وذلك لأنها ـ في زعمهم ـ كتب صفراء قديمة لا تناسب العصر ولا تواكبه، وأيضاً هناك كثير من حملات التشكيك في جدوى هذه الكتب وفائدتها للقارئ في هذا الزمان.

قال أحد الأساتذة واصفاً هذه الكتب بأنها: (مطبوعة طبعاً قديماً متلاصقاً على ورق أصفر رخيص، هذا إلى ما فيها من الحواشي والهوامش، فكان من نتيجة ذلك أن صعبت مطالعتها، وأورثت في بعض الناس ضجراً فتركوها أو هجروها متأثرين بالشكل الخارجيّ دون الجوهر، فأنا خالفت هؤلاء وعشقت الكتب الصفراء؛ لأنها تخزن من الكنوز الفكرية ما يفوق التقدير؛ ولأنها تحوي ثمرة الجهود الجبارة التي قام بها الأسلاف في هذا الميدان، وزبدة الأفكار القيمة التي تركوها)[1].

وكثير من حملات التشكيك هذه قد تبنَّاها أعداء الإسلام لصرف الناس عن ماضيهم المجيد.

---

(١) «مجلة دعوة الحق»: السنة ٩، العدد٢، ص٣٦ ـ ٣٧.

وقد وصل الأمر في بعض البلدان أن غُيِّرت الحروف العربية إلى الحروف اللاتينية فانقطعت صلة أهل العصر بأجدادهم وأسلافهم، فلم يعودوا يستطيعون قراءة كتبهم حتى لو رغبوا في هذا، وفي هذا من البلاء ما فيه على الأمة وتراثها وثقافتها.

٢ـ أمَّا الصوارف المتعلقة بالكتب الحديثة فهي:

أ ـ ضعف المادة العلمية في كثير من تلك الكتب:

حيث إن بعضها ملخصٌ من محاضرة، أو أن المحاضرة منقولة كما قيلت بدون تنقيح، وبعض تلك الكتب مكتوب بأيدي ناشئة لا يستطيعون إقناع القارئ بفكرة الكتاب لضعف الأسلوب، وطريقة العرض.

ب ـ جفاف الأسلوب:

بدعوى الحرص على الأسلوب العلمي الحديث تكون المادة المعروضة في كثير من الكتب غاية في الجفاف والبعد عن التشويق، حتى إن بعض المواد التي يفترض فيها أن تكون مشوقة كالتاريخ وجغرافية البلدان تُعرض بطريقة جافة ويسلب ما فيها من إثارة وتشويق، وانظر إلى «معجم البلدان» لياقوت الحموي[(١)]، وهو كتاب في «الجغرافيا»، وقارنه بكتب «الجغرافيا» الحديثة تعرفْ ما أقصده.

---

(١) ياقوت بن عبد الله الرومي، أبو عبد الله، شهاب الدين. مؤرخ ثقة من أئمة الجغرافيين ومن العلماء باللغة والأدب. أصله من الروم وأسر من بلاده صغيراً، وابتاعه تاجر ببغداد فرباه وعلمه وشغله بالأسفار في متاجرة، ثم أعتقه، فعاش من نسخ الكتب بالأجرة، وارتحل رحلة واسعة، وله عدة مصنفات. توفي بحلب سنة ٦١٨. انظر «الأعلام»: ٨/ ١٣١.

ج ـ عدم تجرد المصنف وقلة تحريه للحقائق:

عدم تجرد كثير من المصنفين في عرض الحقائق يؤدي إلى صرف الناس عن كتبهم ـ وهي الأكثر في الساحة مع الأسف ـ فالكُتَّاب، في أكثر البلاد الإسلامية لا يستطيعون ـ مثلاً ـ الإشادةَ بمحاسن الإسلام وقدرة أهله الواعين له الملتزمين به على تغيير الموازين الحضارية لصالحهم، وعدم الاستطاعة هذه مردّها إلى ارتباطاتهم المشبوهة، أو قهر الأنظمة لهم، أو قصورهم وغفلتهم. . . إلخ.

وعدم التجرد يتضح جليًّاً في كتب القوميين والماركسيين والشيوعيين والمستغربين والوجوديين وغيرهم ممن يحرص على إظهار مذهبه البالي المتروك والتقليل من شأن الإسلام وأهله.

كيفية تجاوز بعض الصوارف السابقة:

ويمكن تجاوز أكثر الصوارف المتعلقة بالكتاب نفسه والتغلب عليها، وذلك بالإضافة إلى ما سبق ذكره:

أ ـ بإقامة المعارض التي تزين للمرء الكتاب وتقربه إلى نفسه وتحسنه إليها، خاصة أن كثيراً من تلك المعارض ترخص فيها قيمة كثير من الكتب إلى الحد المغري باقتنائها، أو تصفحها ـ على الأقل ـ لإزالة الوحشة بينه وبين الكتب.

ب ـ تكوين المكتبات في المساجد والمراكز الدعوية والدوائر الحكومية والشركات الخاصة والمطارات وعيادات الأطباء. . بحيث يُشاع الكتاب فيها وتعتاد النفوس رؤيته، ويجب تجديد تلك الكتب كل مدة زمنية محددة بحيث لا يمل القارئ الكتب القديمة التي عرضت عليه منذ سنوات ولم تجدد أو يضاف إليها شيء.

ج ـ إصدار نشرة تقويمية دورية للتعريف بالكتب المهمة، والتحذير من الكتب الضارة والضعيفة القديمة منها والجديدة على حد سواء.

د ـ الاختصار والتقريب لكثير من الكتب الضخمة، وهذا قد يعارضه بعض المخلصين من المفكرين بدعوى المحافظة على قراءة الأصل، لكن هذه المعارضة لا تسلم لهم إذ هل يمنع الاختصار قراءة الأصل؟ وهل ينصرف من يريد الأصل إلى فرعه ومختصره إلا لعذر قاهر؟ وهل تسمح الأوقات بقراءة الأصل؟

إن المشاهد ـ اليوم ـ انتفاع جماعات كثيرة من الناس بالاختصار لبعض كتب التراث واستفادتهم على وجه لم يكن ليتم لو لم يختصر ذلك الكتاب الكبير ويهذب، وقد قام كثير من السلف باختصار مئات الكتب، والله أعلم.

أسباب القراءة وأهداف القارئ

قد بينت ـ آنفاً ـ أهمية الكتاب، وأهمية القراءة، وأسباب العزوف عنها، وفي هذا المبحث أتناول ـ إن شاء الله تعالى ـ الأسباب التي من أجلها يقرأ الإنسان.

١ ـ يقرأ من أجل طلب العلم الدنيوي:

وذلك لإنهاء مراحل الدراسة أو خَوْض دورة من الدورات المطلوبة في الوظيفة:

وهذا أمرٌ مباح لا شيء فيه، ويمكن أن يصير عبادة إذا صاحبته نيةٌ حسنة.

لكن هناك محذور ـ يجب أن يتنبه له ـ وهو صرف وقت عظيم في ذلك، قد يكون زائداً عن الحاجة، ونسيان إتيان المعالي الأخرى بدعوى الانشغال بالقراءة للدورة أو الدراسة، وهذا أمر لا يليق بالمسلم أن يفعله خاصة الأخ الملتزم بدينه، وأنا أعرف بعضاً من هؤلاء الإخوة الذين يحرصون أشد الحرص على التفوّق في دراستهم أو دورتهم، وفي الوقت نفسه تجده مُقصِّراً في كثير من الجوانب المهمَّة الأخرى.

٢ ـ القراءة للازدياد الثقافي:

يقرأ المرء من أجل أن تزداد معارفه ويعْظُم فهمه لهذا الكون، وهذا من الأمور التي حثَّ عليها كتاب الله تبارك وتعالى: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾[(١)]، وهو من مثبتات الإيمان واليقين، وطريق لدعوة غير المسلمين.

٣ ـ يقرأ ليفهم مؤامرات الكافرين ويعرف شبهات الأولين، ويطَّلعَ على المشاكل التي تُهدد عالمه الإسلاميّ:

وذلك مثل أن يقرأ كتاب «لعبة الأمم» أو «أحجار على رقعة الشطرنج» أو «حكومة العالم الخفية» أو غير ذلك من الكتب النافعة في هذا الباب، ومثل قراءته للمجلات الإسلامية النافعة الهادفة مثل «المجتمع» و«المنار» و«البلاغ» و«الفرقان» و«النور» و«الدعوة» و«البيان» وغيرها.

ولو اقتصر طالب العلم على مجلة أو اثنتين من أنفعها لكان حسناً حتى يشارك إخوانه ولو في قراءة أخبار أفراحهم وأتراحهم.

وهناك ـ أخي ـ جانب لا يستغنى عنه ألا وهو قراءة بعض الصحف والاطلاع على المستجدات اليومية لحياتنا الدنيويَّة، وقد يعترض معترض بأن غالبها غثاء، وهذا اعتراض وجيه، ولكن أليس من مهمتك أخي الداعية إصلاح هذا الغثاء؟ فكيف ستصلحه إذا لم تطَّلع عليه ولم تعرفه أصلاً؟!

هذا وفي غالب الصحف اليومية نواة طيبة لملاحق إسلامية تستحق أن يطلع عليها ويشارك في إعداد مادتها.

وبعض الإخوة يتحرج من الصور التي في المجلات والجرائد، فهذا أمر هين حله إذ باستطاعته إتلاف ما شاء منها بعد قراءتها، والله أعلم.

---

(١) يونس: آية رقم ١٠١.

٤ ـ الازدياد من المعارف الشرعية:

يقرا المرء ليزيد من معارفه الشرعية وعلومه الإسلامية ومهارته اللغوية، وهذا مراد كثير من أهل الإسلام، لأن تلك القراءة طريقٌ لتعلمهم فرائض الدين ومعالم السُّنن، وهي أيضاً لإحسان وضبط منهجهم في الحياة.

٥ ـ القراءة للاستلهام والابتكار والاختراع:

قال أحد الأساتذة: (هذه هي أرقى أنواع القراءة التي تعمل عملها العظيم في حياة الفرد والمجتمع، وتدفع الأمة نحو حضارة أرقى بما يتبع هذه القراءة البارعة من التفوق العلميّ والأدبيّ والروحيّ.

ويقبل على هذه القراءة أصحاب العقول الممتازة الذين يرون مع الفيلسوف العالم إسحاق نيوتن: «أن الناس مع كل ما بلغوه من المعرفة وتوصلوا إليه من الاكتشافات ليسوا إلا أولاداً صغاراً يلتقطون الأصداف والأعشاب التي ينبذها ويقذف بها بحر الحقائق وخضم المجهولات من حين إلى آخر».

ويؤسفنا أن المضمار العلمي عندنا يخلو من مثل هذا القارئ العبقريّ، ونسأل أنفسنا ما الذي جعل الاختراع والاستنباط والتفوق العلمي وقفاً على أبناء الغرب! ليس السبب في عقولهم أو ذكائهم ولكن لأنهم عرفوا لذة القراءة وانغمسوا فيها وجعلوا شعارهم «اقرأ وفكر واعمل» فمكنهم ما اكتسبوه من محصول من فهم العالم الذي حولهم وضبطه والكشف عن قوى الطبيعة المجهولة وإخضاعها لفائدة البشر، وهؤلاء القراء البارعون هم حملة المشاعل في الأمم النواهض، وواجبهم ملاءمة التطور، والعون على التقدم والسبق.

والقارئ العبقريّ يقرأ ويهضم ويفكر ويجرب ليستخلص شيئاً جديداً يضيفه إلى تراثنا وحضارتنا ويعمل على تغيير حياتنا وتكييفها، وكلما أكثر من هذه القراءة المركزة المنظمة كلما[1] وجد نفسه يقترب من هدفه فيزداد تفكيراً، وأثناء حرارة التفكير والانغماس فيه بعقله، وكل حواسه تنقدح في ذهنه الأفكار الملهمة فيزداد محصوله العقليّ ويزداد هو استحواذاً على العالم الخارجيّ وإدماجاً له في حياته العقلية.

ومثل هذا القارئ يتبع في قراءته طريقة التفرغ والاستيعاب ـ أي طريقة أخذ الشيء مفصلاً والتمكن من كل جزء من أجزائه ـ فتظل أفكاره في حركة دائمة تتحرك حول غرض عملي محدد واضح، وتتحول هذه الأفكار إلى مَلَكة، يقول «هربرت سبنسر»: «المعرفة لا يكاد يعيها الواعي حتى تتحول عنده إلى ملكة، وتظل بعدها تعينه على التفكير عامة»، ويأخذ هذا القارئ المفكر ينمو في نشاطه العقلي يبني المقدمات بالخبرة والمشاهدة والاستقراء والقياس حتى يصل النتائج التي يهدف إليها.

وهذه القراءة المركزة المنظمة سبب قويّ في توجيه الأفراد الممتازين إلى نواح معينة وحفزهم لتحقيق غايات جليلة سامية عاد عليهم تحقيقها بالصيت الخالد والجاه والثروة، وأذكر على سبيل المثال أمثلة حية خالدة لما توحي به القراءة عندما تقترن بالتفكير العميق واليقظة المستمرة والرغبة القوية وتحديد الهدف وحشد الجهود.

اشترى «لورد كلفن» كتاباً عن الحرارة تأليف عالم طبيعيّ اسمه

(١) كذا وردت، والصواب حذف «كلما» الثانية.

«فوربيه» وانغمس في قراءته واستيعابه، فكان لهذا الكتاب أكبر الأثر في حياة الرجل بما أوحى إليه من الاختراعات.

وقرأ «بت» كتاب «ثروة الأمم» تأليف «آدم سميث» فاستطاع أن يرسم للأمة الإنجليزية سياستها الاقتصادية الرشيدة في وقته.

وقرأ «سسل رودس» كتاب «الإمبراطورية الرومانية» تأليف «جبون» فذهب إلى إفريقية يوسع نطاق الإمبراطورية البريطانية.

وقرأ «فورد» مقالاً في مجلة عن العربات التي لا تجرها الخيل؛ فأوحى إليه هذا المقال بالتفكير في صنع السيارة، ودأب على تحقيق هذا الحلم الجميل حتى كان له ما أراد.

كل من هؤلاء عرف كيف يستفيد مما يقرؤه، وهضم ما قرأه فأصبح جزءاً من كيانه العقليّ وحجراً أساسياً لابتكار أو خلق أو عمل شيء جديد.

والأديب الفنان كالمخترع ورجل العلم يقرأ للابتكار والاستلهام وليس ليشبع جشعه الثقافيّ فقط؛ بل لتوحي إليه الفكرة المقروءة بفكرة جديدة، وهو في قراءته يحلق في الآفاق العليا منطوياً على نفسه، لا يتقيد بمكان أو زمان، بالغاً المكانة التي يستشرف منها للإلهام ويتعرض فيها بروحه وبصيرته لنبضات الوحي فيمزق حجب الأشياء وينفذ تواً إلى صميمها، ويصل إلى أعمق الأغوار من الفكر الإنسانيّ الأصيل.

هكذا يقبل القارئ الأديب على القراءة لتفتح لذهنه آفاقاً جديدة فتنهال عليه الخواطر التي تضطرب في نفسه وتريد أن تظهر، وتملأ قلبه وتريد أن تفيض، وتكرهه على أن يأخذ القلم ويسجل ما تمليه

عليه تلك الأصوات الخافتة التي يسمعها داخل عقله وقلبه ويلمسها بإحساسه المرهف في جوه السحريّ الصامت، إنه لا يقرأ لينقل ولكن ليحس نبضات الفن و الإلهام والبصيرة)[١].

٦ ـ يقرأ لينمي روحه الإيمانية؛

كأن ينجز ورده من القرآن الكريم والأذكار المأثورة المباركة، وكأن يقرأ في كتب الرقائق والأذكار... إلخ.

٧ ـ يقرأ ليحفظ، أو ليؤلف وينظم ويُرتب.

٨ ـ يقرأ من أجل أن يوسع (أفقه) ويبني (ثقافته):

ومن ثَمَّ يتمكن من تفنيد الآراء الزائفة والشبهات الضالة، ولا يؤتى الإنسان إلا من قِبَل قلَّة اطِّلاعه وضحالة معرفته.

٩ ـ يقرأ لتكون عنده ملكة قوية في النقد السليم البنَّاء وقدرة على التحليل وإبداء الرأي:

فكم من مشارك في لقاءات إخوانه وهو لا يحرك ساكناً ولا يعطي رأياً ولا مشورة، وذلك لقلة اطلاعه وضحالة معرفته.

١٠ ـ القراءة للترويح والمتعة:

يقرأ المرء للترويح والمتعة مثل قراءة القصص وكتب السمر واللطائف والشعر، وهذا لا شيء فيه بشرط ألا يكثر منه أو يجعله ديدنه بحيث لا يقرأ غيره، فقد كان كثير من علمائنا من سلف وخلف يقرؤون كتب السمر ويتداولون الشعر في مجالسهم ويتطارحونه.

---

(١) مجلة «الرسالة» العدد ٨٤٢، السنة ١٧، ٢٧ شوال سنة ١٣٦٨، ص١٢٥٥ ـ ١٢٥٦.

وكان ابن عباس رضي الله عنهما يقول: (إذا أفاض مَن عنده في الحديث بعد القرآن والتفسير: أحمضوا)(١).

(وتثبت بعض الإحصاءات أن نحواً من ٧٠٪ من القراء يتجهون إلى القراءة من أجل التسلية، فهناك أعداد هائلة من الناس تتجه إلى قراءة القصص والروايات والمسرحيات والجرائد والمجلات الخفيفة...)(٢).

هذه هي أهم أهداف القارئ المسلم ـ من قراءته ـ التي لو حققها لسما بروحه وعلمه إلى ما يحبه الله ورسوله ﷺ.

وقد ذكر بعض الكتاب كلاماً جميلاً في هذا الباب مفاده أن وجهة النظر الإسلامية هي: (أن القراءة كأي عمل يجب أن يكون في سبيل الله. وسبيل الله يتضمن تقوية المسلم في دنياه علماً، ومكانةً اجتماعية، واستجلاباً للرزق، ويتضمن ادخار المسلم للحسنات إلى يوم الحساب، عندما يسأل عن عمره فيم أفناه، ويتضمن مقارعة الكفر ومجالدة الآراء الزائفة في فكرها وتأثيرها حتى تكون كلمة الله هي العليا)(٣).

وقد جرت دراسة ميدانية(٤) لمجموعة من المثقفين الجامعيين ذكروا فيها آخر كتاب قرؤوه فكانت النتيجة التالية:

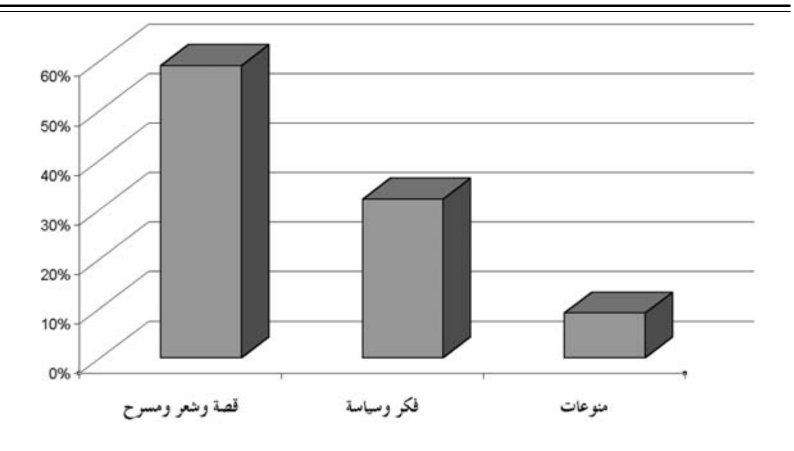
---

(١) وقال ابن الأثير رحمه الله: (يقال: أحْمض القوم إحماضاً إذا أفاضوا فيما يؤنسهم من الكلام والأخبار، والأصل فيه الحَمْض من النبات وهو للإبل كالفاكهة للإنسان. لمَّا خاف عليهم من الملال أحبَّ أن يُريحهم فأمرهم بالأخذ في مُلح الكلام والحكايات). «النهاية في غريب الحديث والأثر»: ١/ ٤٤.

(٢) «القراءة المثمرة»: ٣٠.

(٣) «العين»: ١/ ٤/ ١٩.

(٤) من جريدة «الحياة»: عدد رقم ١٢٥٢٣، بتاريخ ٨/ صفر/ ١٤١٨.



آخر كتاب قرأته

قصة وشعر ومسرح	٪٥٩
فكر وسياسة	٪٣٢
منوعات	٪٩




كيفية إلف القراءة

هذه العقبة الكأداء التي لو أزيحت لحقق المرءُ أمنيته، وهاك ـ أخي القارئ ـ بعض الإشارات التي تساعد على إلف القراءة:

أ ـ تجاوز العقبة النفسية:

لا بدَّ من هدم العامل النفسي الذي يجعل الشخص يردد دائماً: «أنا لا أحب القراءة»، «أنا عندما أمسك بالكتاب أنام»، وغير ذلك من العبارات التي لم تُبنَ على تجربة حقيقية واقعية، بل هي وهمٌ مَحْض، أو نتاج كسل وتراخ.

وكيفية هدم هذه الهواجس هو أن يعزم الشخص على تخصيص وقت معين للقراءة يومياً، ويجبر نفسه على القراءة فيه مهما كان ذلك بغيضاً إلى النفس.

وهذا الوقت المخصَّص للقراءة يتنازعه أمور متعددة طرأت على الحياة اليومية للأخ المسلم، وذلك مثل التوسع في تعاطي المباحات، وكثرة التردد إلى الأسواق لداع وبدونه، والاحتفال الزائد عن الحد بالأهل والأولاد، كل ذلك على حساب أمور أهمّ بل قد تُعدّ من الأولويات في باب القراءة وغيره.

ولم يكن سلفنا سمحاً بوقته إلى هذا الحدّ بل كان يعتني به أشد

الاعتناء، ومن طرائف هذا الباب أن بنت أخت الزبير بن بكَّار[١] قالت لزوجه: «خالي خير رجل لأهله لا يتخذ ضَرَّة ولا سُرِّيَّة[٢]، فقالت المرأة: والله هذه الكتب أشدّ علي من ثلاث ضرائر[٣]».

قال ابن هشام النحويّ[٤] رحمه الله تعالى:

ومن يصطبر للعلم يظفر بنيله
ومن يخطب الحسناء يصبر على البذل

ومن لم يذلّ النفس في طلب العلا
يسيراً، يعش دهراً طويلاً أخا ذلِّ[٥]

ب ـ الحديث عن بعض الكتب المشوِّقة:

إذ الحديث عنها وتلخيصها للنافر البعيد عن القراءة يفيد في هذا الباب، وكذلك ذكر أحداث مهمة من التاريخ الماضي والمعاصر، أو الحديث عن شخصيات فذَّة يحدث لدى السامع النافر شوقاً إلى معرفة مصدر هذه المعلومات والاطلاع عليه.

---

(١) العلامة الحافظ النسَّابة، قاضي مكة وعالمها، القرشي الأسدي من ولد عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما. ولد سنة ١٧٢ وتوفي بمكة سنة ٢٥٦ بعد أن وقع من فوق سطحه، رحمه الله تعالى. انظر «نزهة الفضلاء»: ٢/ ٨٩١ ـ ٨٩٢.

(٢) أي جارية.

(٣) «نزهة الفضلاء»: ٢/ ٨٩٢.

(٤) عبد الله بن يوسف بن عبد الله. ولد سنة ٧٠٨. كان شافعياً ثم تحنبل. أتقن العربية ففاق الأقران ولم يبق له نظير فيها، وصنف مصنفات نافعة. توفي سنة ٧٦١ رحمه الله تعالى. انظر «المختار المصون»: ١/ ٣١٥ ـ ٣١٦.

(٥) «البدر الطالع»: ١/ ٤٠٢.

ويفيد المعرضَ عن القراءة إهداؤه بعض الكتب المشوقة المنتقاة بعناية حتى يقبل على القراءة والاستمتاع بها .

ج ـ الاجتماع على القراءة:

الاتفاق مع بعض الأصحاب لإنجاز قراءة عدد من الكتب النافعة، والتواصي بذلك مفيد، ولو اجتُمع على قراءة كتاب حسب جدول محدد لكان حسناً .

د ـ قراءة بعض الكتب على أحد المشايخ أو طلبة العلم والالتزام بعدم الانقطاع نافع في هذا الباب.

هـ ـ تكوين مكتبة منزلية أو نواة لمكتبة:

فمن ليس عنده مكتبة، ولا يزور دور الكتب ومعارضها ـ إلا كما يزور الغيث الصحراء الكبرى ـ فكيف يرجو أن يألفَ القراءة، أو يعوِّد أبناءه القراءة الجادَّة النافعة؟ وكما أنَّ مجالسة الصالحين تُغري بفعل الصالحات فكذلك وجود الكتب في البيت يُغري أعتى النافرين بتقليب صفحات كتاب ما في يوم ما .

و ـ الانتساب لجامعة ما:

من الأمور التي تساعد الإخوة الموظفين ـ الذين لم تُقدَّر لهم الدراسة الجامعية ـ على إلف المطالعة هو الانتساب لجامعة من الجامعات، فإنني أعلم أنَّ كثيراً من الموظفين والعاملين الذين لا قِبَل لهم بالقراءة ولا يحبونها قد استفادوا من هذا الانتساب وأصلحوا الخلل في شأنهم وأصبحوا يقبلون على القراءة ويألفونها ؛ ذلك لأن للدراسة الجامعية ضغطاً نفسياً على المنتسب يجبره على القراءة

والمثابرة على الاطِّلاع حتى يجتاز الاختبارات، فإذا انتهى من دراسته وجد من نفسه ميلاً إلى الاستمرار في القراءة، وهذا هو المطلوب، والله أعلم.

والجامعات أيضاً تضبط الدراسة العلمية للمنتسب لها فلا يتشوش أو يخطئ البداية الصحيحة للتعلم.

ز ـ الالتزام بوقت يومي محدد للقراءة عامل نفسي مساعد على إلفها واعتيادها.

ح ـ معرفة فائدة القراءة وأهميتها:

من الأمور المساعدة على حبّ القراءة ـ إضافة لما سبق ذكره ـ كونها المصدر الوحيد ـ تقريباً ـ للأخبار الصادقة والمعلومات الموثَّقة والحوادث التاريخية الصحيحة، فإذا عرف المسلم ذلك أقبل على القراءة وألِفَها.

ط ـ قراءة المشوقات:

قراءة المشوِّقات في بداية تعوّد القراءة تعين على حبها والاستمرار فيها، فمن قرأ للطنطاوي[1] في «صور وخواطر»، وقرأ لابن الجوزي[2] في «أخبار الحمقى والمغفلين» و «أخبار الأذكياء»،

(١) أديب العربية المعروف، من أصل مصري، من بلدة طنطا. كانت له رحلات وجولات في نصرة فلسطين والقضية الإسلامية، وله العديد من المصنفات الأدبية الدالة على علو كعبه في هذا المضمار، وله الكثير من الأحاديث في الرائي والإذاعة، وقد توفي الشيخ في ٤/ ٣/ ١٤٢٠هـ، رحمه الله رحمة واسعة وغفر لنا وله.

(٢) الشيخ الإمام العلامة الحافظ المفسر أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد. ينتهي نسبه إلى القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه. ولد سنة ٥١٠ ببغداد، =

وللجاحظ في «بخلائه» وغير ذلك من كتب الطرائف والسمر فكيف لا يحب القراءة ويرى فيها العوَض المناسب عن الغُثاء السائد؟!

أمَّا من أوقعه القدر في كتب مثل «المواقف»[(١)] للإيجي[(٢)]، أو كتب التفتازاني[(٣)] في المنطق، أو وقع على كتاب من كتب أصول الفقه، أو كتاب في الفقه عسيرٌ لفظُه مثل «منتهى الإرادات»، أو على شرح لاميَّة العرب، أو على بعض دواوين العرب الأوائل الأقحاح فسيرثي حظه العاثر ويبكي حاله وينفر من القراءة نفوراً عجيباً.

فالشخص صاحب الثقافة الضعيفة والمعارف الضَّحلة لا ينبغي له أن يوغل في كتب ليست له ولم تصنف لمن هو في مثل حاله بل يبدأ بكتب سهلة الأسلوب مشوّقة سلسة، وينبغي له أن ينوع قراءته فلا يقصرها على جانب دون جانب حتى لا يمل[(٤)].

ي ـ قراءة الكتب الدعوية:

قراءة الكتب التي تبثّ شكاوى المستضعفين وأنَّات المظلومين

= وسمع من مشايخ كثيرين، وكان رأساً في التذكير والوعظ بلا مدافعة. صنف مصنفات كثيرة. توفي ببغداد سنة ٥٩٧. انظر «سير أعلام النبلاء»: ٢١/ ٣٦٥ ـ ٣٨٤.

(١) كتاب في علم الكلام.

(٢) عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار، أبو الفضل عضد الدين الإيجي. عالم بالأصول والمعاني والعربية، من أهل إيج بفارس. ولي القضاء وأنجب تلاميذ عظاماً. له عدة مصنفات في العقائد على الطريقة الأشعرية. توفي سنة ٧٦٥ رحمه الله تعالى. انظر «الأعلام»: ٣/ ٢٩٥.

(٣) مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني، سعد الدين. من أئمة العربية والبيان والمنطق. ولد بتفتازان من بلاد خراسان، وتوفي في سرخس، له مصنفات كثيرة. ولد سنة ٧١٢ وتوفي سنة ٧٩٣. انظر «الأعلام»: ٧/ ٢١٩.

(٤) سيأتي تفصيل لهذا قريباً.

وسبلَ حل مشاكلهم نافع في هذا الباب؛ لأن قراءة مثل هذه الكتب قد توقظ في النفس حبَّ الاستمرار في قراءة هذا الصنف من الكتب وغيره، ومن قرأ لأئمة الدَّعوة والعلم في هذا العصر: ابن باز، والبنَّا، والمودودي، والقرضاوي، وابن عثيمين، وسيد قطب، والنَّدوي وغيرهم وعرف حال العالم الإسلاميّ وفهم الحلول لمشكلاته، فكيف يترك القراءة ويهجر الكتب؟!

تعويد الأطفال القراءة

(يقوم الكتاب بدور كبير في تثقيف الطفل؛ لأنه يحتوي على زاد ثقافيّ ينمي لديه عادة القراءة والتخيل والاستيعاب؛ مما يرفع من شأن ثقافته)[١].

ولا يفوتني إذاً أن أوصي الوالد والوالدة أو من يتولى أمر الصغار أن يحبِّب إليهم القراءة، وأن يعلمهم صحبة الكتب والاستئناس بها والبحث عنها، ولا يقع في الخطأ نفسه الذي وقع فيه كثير من أولياء الأمور الذين لم يرشدوا أبناءهم إلى كتاب قطُّ ولم يعلموهم كيفية القراءة.

يقول الدكتور عباس محجوب:

(إن البيت العربي بمجمله بيت أميّ لا يقرأ حتى لو كان أهله متعلمين؛ إذ أنَّ عادات القراءة والتعوّد عليها وجعلها جزءاً من حياة الإنسان يحتاج إليه كما يحتاج إلى الطعام والشراب أمر مطلوب في عصرنا، ومع أن بعضهم يملكون مكتبات ضخمة في بيوتهم إلا أنها لا تعدو أن تكون جزءاً من [ديكور] البيت، ومظهراً تفاخرياً ليس أكثر)[٢].

وهناك بعض الإحصاءات المفزعة التي أثبتت أن عدد الأطفال الذين بلغوا عشر سنوات فأكثر وهم ما زالوا أميين ١٨ مليون طفل

---

(١) مجلة «الباحث»: ١٠٢.

(٢) «مشكلات الشباب، الحلول المطروحة والحل الإسلامي»: ٥١.

عربي، وتبلغ نسبتهم في بعض الأقطار العربية ٧٣٪[١].

أمَّا الإصدارات الثقافية للطفل في العالم العربيّ فهي ضئيلة مقارنة بما عليه الأمم الأخرى؛ ففي أمريكا ـ مثلاً ـ صدر في عام ١٩٩٣ (٥٠٠٠) كتاب خاصّ بالطفل، أما في العالم العربيّ فقد كان العدد مُفزعاً محزناً: (٢٥٠) كتاباً[٢]، هذا عدا ما في كثير من البلدان العربية الإسلامية من أطفال محرومين من أهم مقومات الحياة فضلاً عن أن يكونوا قرؤوا كتاباً خاصاً بهم أو سمعوا بمجلة تُعنى بشؤونهم.

هذه بعض المعوِّقات التي تصد الطفل عن قراءة الكتب والمجلات لإشباع نهمه وحاجاته الثقافية.

ولقد أوصت الندوة المجتمعة بالقاهرة من ٢٩/ ١/ ١٩٧٩ إلى ١/ ٢/ ١٩٧٩، أوصت (بإنشاء مراكز لكتب الأطفال تهتم بالدراسات والبحوث والتخطيط لكتاب الطفل، ويكون من مهامِّها ما يلي:

أ ـ تشجيع الكتابة للأطفال مادياً وأدبياً وفنياً.

ب ـ تهيئة الكوادر القادرة على تلبية احتياجات التأليف للأطفال.

ج ـ تخفيض أسعار الإعلان عن كتب الأطفال في مختلف وسائل الإعلان.

د ـ إعفاء مستلزمات إنتاج كتب الأطفال في الجمارك.

هـ ـ تقديم حوافز لمؤلفي كتب الأطفال)[٣].

---

(١) جريدة «المسلمون»: العدد ٤٧٨.

(٢) المصدر السابق.

(٣) مجلة «الباحث»: ١٠٢ ـ ١٠٣.

(وبصورة عامَّة إن كتب الأطفال قليلة في مكتبتنا العربيَّة، وهناك فراغ كبير تعاني منه المكتبة العربية، ودور النشر العربية مقصرة في طباعة كتب ثقافية جادَّة تشبع نهم أطفالنا للقراءة المفيدة في شتى موضوعات العلوم والفنون والآداب)[١].

ولئن كان هذا التقرير صحيحاً من قبل هذه المجلة فيما يخص كتب الأطفال التي دُونت بالعربية على مختلف اتجاهات مصنفيها، فكيف هو حال الكتاب الذي يعالج قضايا الطفل من وجهة النظر الإسلامية، وكم هو عدد الكتب التي قصَّت على الأطفال قصص النبيين والمصلحين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أئمة الإسلام، وكم هو عدد الكتب التي ربَّت الناشئة على الأخذ بتعاليم الإسلام وآدابه، أكاد أجزم أن العدد لا يتجاوز ١٠٪ من المطروح في الأسواق الثقافية على قلة المطروح وهشاشة محتوياته ومضامينه.

ولأجل أن تنمو ثقافة الأجيال الناشئة نمواً سليماً مرتبطاً بالإسلام عقيدة وثقافة؛ فإنه لا بدَّ من المسارعة لوضع أسس تأليف ونشر كتب الأطفال التي توجههم التوجيه الصحيح بما لا يخالف القيم الإسلامية، ويغرس في نفوس الناشئة حب الإسلام ورجاله العظام.

(١) المصدر السابق.

أساليب تحبيب القراءة للأطفال

(معظم الأطفال بمجرد أن يستطيعوا القراءة سوف يقرؤون، وما على المعلم إلا أن يهيئ لهم الكتب الملائمة ويجعلها في متناولهم، وهناك الكثير من الشواهد على أن الفترة الواقعة ما بين سن ثماني وعشر سنوات هي الفترة التي يمكن أن تمهد فيها الطريق لكي يصبح الطفل قارئاً مدى الحياة.

ولكن الأطفال ليسوا جميعاً مستعدين استعداداً طبيعياً، لكي يصبحوا كذلك في هذه السن، وهذه حقيقة ينبغي أن يضعها المعلمون في المدارس الابتدائية نصب أعينهم؛ وذلك لأن كثيراً من الأطفال الذين يشغفون من تلقاء أنفسهم بالقراءة سوف يفعلون ذلك لو تلقوا العون في الوقت المناسب)[١].

وأمَّا أساليب تحبيب القراءة فهي لا تختلف كثيراً عن الأساليب السابق ذكرها، وإن كان اختيار الكتب للطفل له معايير معينة تختلف عن تلك التي للكبار، وأهم تلك المعايير:

١ ـ الكتاب المختار لا بدَّ أن يكون ذا أحرف كبيرة حتى يسهل على الطفل مطالعته.

(١) مجلة «المعلم العربي»: العدد الأول والثاني، السنة ١٥، سنة ١٩٦١، ص٣٣.

وحبذا لو كانت هذه الأحرف سوداءَ على خلفية بيضاء غير لامعة، ويكون بين كل سطر والذي يليه مسافة كافية.

٢ـ هناك بعض أنواع من الكتب بها تجسيم لما يدور فيها من أحداث بطريقة علميَّة مشوّقة، فإذا فتح الطفل الكتاب يجده كأنه نوع من الألعاب فيحبه ويتعلق به.

٣ـ طريقة العرض، وسلاسة الأسلوب، وتشويقه، واختيار الكلمات السهلة عوامل مهمة في تحبيب الكتاب للطفل.

٤ـ أن يكون به من الصور ما يجعله مشوِّقاً للطفل.

٥ـ أن يكون الكتاب المختار ذا أوراق سميكة حتى لا يهترئ بسرعة، وهناك أنواع جيدة في السوق من هذه الكتب.

٦ـ تعويد الطفل على القراءة الجادة، وذلك باختيار الكتب التي تعرفه سيرة عظمائه وأبطاله، والبعد عن الكتب التي لا هدف لها، أو ذات الخيال المحْض، أو المقلقة لنفسيته بأن تخيفه من أمر ما، أو تبالغ في إضافة القوة على توافه، وغير ذلك.

٧ـ اختيار بعض الكتب ذات الغرض المعرفيّ الموسوعي المناسب لمدارك الصغار وذلك لإثراء معارفه وملئها بالمفيد النافع؛ وذلك مثل سلسلة دائرة المعارف للناشئين التي طبعتها دار سفير، وغيرها.

٨ ـ الكتب ذات الأسلوب القصصيّ أو التي يكثر فيها القصص تؤثر في الطفل وتطبع الأحداث في ذهنه، وفي الوقت نفسه تشوّقه لمزيد من القراءة.

٩ـ الحرص على المجلات التي تُعنى بالطفل، وحبذا لو تكون ذات اتجاه إسلامي حيث إن فائدتها ستكون أعظم، وبناءها لعقل الطفل واتجاهه السلوكيّ والدينيّ سيكون بطريقة سليمة مطلوبة شرعاً وعقلاً.

وهناك بعض المجلات مثل «أروى» و «فراس» و «الشبل» والمجلات التي أخرجتها «الندوة العالمية للشباب الإسلامي» التي فيها بعض الغَناء عن الغُثاء السائد.

وحبذا لو عمد الوالدان إلى عمل ما يسمى بـ «الاشتراك» لكل طفل من أطفالهم في هذه المجلات؛ إذ عندما يصلهم «الاشتراك» باسمهم مدوناً عليه، فإنهم يُسرّون بذلك سروراً كبيراً ويقبلون على قراءة تلك المجلات.

١٠ـ يُشجع الأطفال على قَصِّ ما يقرؤونه لوالديهم أو لإخوانهم الكبار؛ فإن هذه الوسيلة معينة على تشويق الطفل وجعله يُقبل على القراءة، ولو قُرئت الكتب والمجلات بمحضر الوالدين لكان ذلك حسناً.

١١ـ الانتقال بالأطفال من الكتب المنهجية إلى كتب المطالعة الحرة بين مدة وأخرى:

فالكتب المدرسية مهمة وجيدة لكنها (مهما ارتدت أثواباً من التشويق فهي تبقى خاضعة لقسوة المناهج، وأنها مهما حملت من المعارف لا تعطي التلميذ إلى الأسس التي يستطيع أن يقيم عليها صرح ثقافته إذا عَبَّ من مناهل الثقافة الحرة، وأن الطالب الذي يقتصر على الثقافة المدرسية وحدها، ولا يرفدها بروافد من قراءته الإضافية يبقى ضيق الأفق ضحل المعرفة.

كما لاحظوا ـ أيضاً ـ أن الطالب الذي لا يعتاد القراءة خلال وجوده في المدرسة، ولا يزاولها بعد تخرجه منها لا يلبث أن يرتد إلى الجهالة. . .)[١].

(١) مجلة «المعلم العربي»: العدد الخامس والسادس، السنة ١٥، سنة ١٩٦٢، ص٣ـ٤.

حبّ القراءة عند المسلمين

يردد كثير من الناس اليوم أن الغربيّين يقرؤون كثيراً، وفي كل مكان؛ في الحافلات والطرق والأماكن العامة والحدائق وغيرها، ولكنا عندما ننظر إلى المسلمين الأوائل سلفنا نجدهم قد فاقوا في هذا المجال كل الأمم، وضربوا أروع الأمثلة في هذا الباب، فمنها:

١ـ كان الحافظ الخطيب البغدادي[١] يمشي وفي يده جزء يطالعه[٢].

٢ـ وكان الإمام الحافظ محمد بن موسى الحازمي[٣] يدخل بيته في كل ليلة ويطالع ويكتب إلى طلوع الفجر، فقيل للخادم: لا تدفع إليه الليلة بزراً[٤] للسراج لعله يستريح الليلة، فلما جنَّ الليل اعتذر إليه

---

(١) الإمام العلامة المفتي الحافظ الناقد، محدث الوقت، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت صاحب التصانيف، ولد سنة ٣٩٢، واعتنى بشأنه حتى صار أحفظ أهل عصره على الإطلاق، وكان من كبار الشافعية، وله مصنفات كثيرة، توفي سنة ٤٦٣ ببغداد. انظر «نزهة الفضلاء»: ٣/ ١٢٨٨ ـ ١٢٩٢، و«الأعلام»: ١/ ١٧٢.

(٢) «نزهة الفضلاء»: ٣/ ١٢٩٠.

(٣) الإمام الحافظ الحجة الناقد، النسَّابة البارع محمد بن موسى بن عثمان الحازمي الهَمَذاني. ولد سنة ٥٤٨، وتفقه على مذهب الشافعي، وجالس العلماء، وصار من أحفظ الناس للحديث مع زهد وتعبد ورياضة وذكر. توفي سنة ٥٨٤ وله ٣٦سنة، رحمه الله تعالى. انظر المصدر السابق: ٣/ ١٤٧٦.

(٤) البزْر: دهن يستخرج من الحبوب يوضع في السراج يستنار به.

الخادم لأجل انقطاع البزْر فدخل بيته وصفَّ قدميه يصلي ويتلو إلى أن طلع الفجر[١].

٣ـ وكان أبو بكر الخيَّاط النحوي المتوفى سنة ٢٨٦ يدرس في جميع أوقاته حتى في الطريق، وكان ربَّما سقط في جُرف أو خبطته دابَّة[٢].

وهذه الصورة ـ وإن كانت غير مرغوبة على هذا النحو ـ تدل على الاهتمام البالغ بالقراءة.

٤ـ ويقال إن الجاحظ لم يقع بيده كتاب قطُّ إلا استوفى قراءته، حتى أنه كان يكتري دكاكين الكُتْبيِّين ويبيت فيها للمطالعة[٣].

٥ـ وحكي أن ثعلب[٤] كان لا يفارقه كتاب يدرسه، فإذا دعاه رجل إلى دعوة شرط عليه أن يوسّع له بمقدار مِسْورة[٥]، يضع فيها كتاباً ويقرأ[٦].

٦ـ وكان الشيخ عبد الحق الدهلوي[٧] دائم الاشتغال، مكباً على المطالعة في دياجير الليالي؛ حتى إنه قد احترقت عمامته غير مرة

(١) «نزهة الفضلاء»: ٣/ ١٤٧٦.

(٢) «الحث على طلب العلم»: ٧٧.

(٣) «نزهة الفضلاء»: ٢/ ٨٥٤.

(٤) أحمد بن يحيى بن زيد الشيباني بالولاء، أبو العباس المعروف بثعلب. إمام الكوفيين في النحو واللغة. كان راوية للشعر محدثاً، مشهوراً بالحفظ وصدق اللهجة، ثقة حجة. ولد ببغداد سنة ٢٠٠ وتوفي بها سنة ٢٩١ إثر سقوط فرسه في هُوَّة. له عدة كتب. انظر «الأعلام»: ١/ ٢٦٧.

(٥) متكأ من الجلد أو وسادة.

(٦) «الحث على طلب العلم»: ٧٧.

(٧) الشيخ الإمام العلامة المحدث عبد الحق بن سيف الدين سعد الله البخاري الدهلوي. أول من نشر علم الحديث بأرض الهند تصنيفاً وتدريساً. ولد سنة ٩٥٨ بدهلي، وتوفي بها سنة ١٠٥٢. انظر «المختار المصون»: ٢/ ١٢٠٣ ـ ١٢٠٥.

بالسراج الذي كان يجلس أمامه للمطالعة، فما كان ينتبه له حتى تتصل النار ببعض شَعْره[(١)].

٧ـ وكان الأمير الكبير مرزا عبد الرحيم خان[(٢)] على بطولته وشهامته وانشغاله (لا يعفي نفسه عن مطالعة الكتب، فإذا كان على ظهر الفرس وقت طعنة أو نهضة رأيت الأجزاء في يده، وإذا كان يغتسل رأيت الأجزاء في يد خدامه يحاذونه وهو يطالعها ويغتسل)[(٣)].

٨ ـ وكان الفيروز آبادي[(٤)] قد اشترى (بخمسين ألف مثقال ذهباً كتباً، وكان لا يسافر إلا وصحبته منها عدة أحمال، ويخرج أكثرها في كل منزلة فينظر فيها ثم يعيدها إذا ارتحل)[(٥)].

٩ ـ وكان المأمون[(٦)] ينام والدفاتر حول فراشه ينظر فيها متى انتبه من نومه وقبل أن ينام[(٧)].

---

(١) «الإعلام بمن في تاريخ الهند من أعلام»: ٥/ ٢٢٠.

(٢) المرزا عبد الرحيم بن بيرم خان الدهلوي. ولد سنة ٩٦٤ بمدينة لاهور. كان من أهل التفنن في الفضائل واللغات. ترقى حتى نال منزلة من الإمارة كبيرة. توفي سنة ١٠٣٦ بدهلي. انظر «المختار المصون»: ٢/ ١٢٠٦ ـ ١٢٠٨.

(٣) «الإعلام بمن في تاريخ الهند من أعلام»: ٥/ ٢٣٦ ـ ٢٣٧.

(٤) محمد بن يعقوب بن محمد الفيروزآبادي الشيرازي اللغوي الشافعي. ولد سنة ٧٢٩ بكازرون من أعمال شيراز، وحفظ القرآن وهو ابن سبع، وارتحل وحصل علماً جماً في الحديث واللغة والقراءات. ثم استقر في اليمن وحصل له بها جاه عظيم، وتوفي بها سنة ٨١٧ بزبيد. انظر «المختار المصون»: ١/ ٥٦١ ـ ٥٦٦.

(٥) «الضوء اللامع»: ١٠/ ٨١.

(٦) الخليفة، أبو العباس عبد الله بن هارون الرشيد. ولد سنة ١٧٠. وقرأ العلم والأدب والأخبار، والعقليات وعلوم الأوائل، وأمر بتعريب كتبهم وبالغ، ودعا إلى القول بخلق القرآن وبالغ، نسأل الله السلامة. وقعت له وقائع مع أخيه الأمين وقتله، وكان الأمين قد خلعه من ولاية العهد. توفي سنة ٢١٨، وله ٤٨ سنة. انظر «نزهة الفضلاء»: ٢/ ٧٦٤.

(٧) «تقييد العلم»: ١٢٤.

١٠ ـ وكان المستنصر بالله ملكُ الأندلس[١] (ذا غرام بالمطالعة وتحصيل الكتب النفيسة الكثيرة حقِّها وباطلها بحيث إنها قاربت نحو مئتي ألف سفْر، وكان باذلاً للذهب في استجلاب الكتب، ويعطي مَن يتجر فيها ما شاء حتى ضاقت بها خزائنه لا لذَّة له في غير ذلك. . . وكان موثقاً في نقله قَلَّ أن تجد كتاباً إلا وله فيه نظر وفائدة، ويكتب اسم مؤلفه ونسبه ومولده)[٢].

وهكذا ـ أخي القارئ ـ كان المثالان الأخيران لملكين من ملوك الإسلام دالَّين على اهتمام حكام المسلمين أيضاً بالقراءة وحبهم لها.

وقال ابن الجهم[٣]: إذا غشيني النعاس في غير وقت نوم ـ وبئس الشيءُ النوم الفاضل عن الحاجة ـ قال: فإذا اعتراني ذلك تناولتُ كتاباً من كتب الحِكَم، فأجد اهتزازي للفوائد، والأَرْيَحِيَّة[٤] التي تعتريني عند الظَّفَر ببعض الحاجة، والذي يغشى قلبي من سرور الاستبانة وعز التبيين أشد إيقاظاً من نهيق الحمير وهَدَّة الهدم.

وإذا استحسنت الكتاب واستجدته و رجوت منه الفائدة، ورأيت

(١) الحكم بن عبد الرحمن بن محمد الأموي صاحب الأندلس وابن ملوكها. كانت دولته ست عشرة سنة وعاش ٦٣ سنة. كان جيد السيرة، منطوياً على دين وخير، عالماً، أخبارياً. مات بقرطبة سنة ٣٦٦. انظر «نزهة الفضلاء»: ٢/ ١١٧٣.

(٢) المرجع السابق: ٢/ ١١٧٣.

(٣) علي بن الجهم بن بدر، أبو الحسن، شاعر، رقيق الشعر، أديب، من أهل بغداد. اختص بالمتوكل العباسي ثم غضب عليه فنفاه إلى خراسان، ثم انتقل إلى حلب ومات قريباً منها وهو خارج يريد الغزو بعد أن قاتله فرسان من بني كلب. توفي متأثراً بجراحه سنة ٢٤٩. انظر «الأعلام»: ٤/ ٢٦٩ ـ ٢٧٠.

(٤) الأرْيحي: واسع الخلق، النشيط إلى المعروف، المرتاح للندى والعطاء: انظر «المعجم الوسيط»: روح.

ذلك فيه، فلو تراني وأنا ساعة بعد ساعة أنظركم بقي من ورقة مخافة استنفاده، وانقطاع المادة من قلبه، وإن كان المصحف[١] عظيم الحجم، كبير الورق، كثير العدد، فقد تم عيشي وكمل سروري[٢].

هذه الأمثلة غَيْض من فَيض، ولو ذهبت أستقصي كل ما ذكر في هذا الباب لأتيت بأمر عظيم.

ولقارئ أن يسأل: هل عقمت النساء ـ من جملة ما عقمن ـ أن يلدن مثل هؤلاء؟ والجواب: لا؛ إذ هناك من أفراد هذه الأمة المباركة من يقارب هؤلاء في حبهم للقراءة ودأبهم على المطالعة، ومن هؤلاء أديب العربية المعاصر فضيلة الشيخ علي الطنطاوي رحمه الله تعالى حيث يقول: (لو أحصيت معدَّل الساعات التي كنت أطالع فيها لزادت على عشر في اليوم... فلو جعلت لكل ساعة عشرين صفحة أقرأ من الكتب الدسمة نصفها ومن الكتب السهلة نصفها لكان لي في كل يوم مئتا صفحة، أتنازل عن نصفها احتياطاً وهرباً من المبالغة وخوفاً من الكذب، وإن كنت لم أكذب ولم أقل إلا حقاً فهذه مئة صفحة في اليوم، فاحسبوا كم صفحة قرأت من يوم تعلمت النظر في الكتب وامتدت يدي إليها.

سبعون سنة، في كل سنة اثنا عشر شهراً، في كل شهر ثلاثون يوماً، في كل يوم مئة صفحة... كنت ولا أزال أقرأ في كل علم: في التفسير وفي الحديث وفي الفقه وفي التاريخ وفي الأدب: الأدب العربي، والأدب الفرنسي، وفي العلوم على تنوعها وتعددها)[٣].

ومن سمعه ونظر في كتبه علم أن ما قاله حقّ.

---

(١) أي الكتاب المجموع كهيئة المصحف المجموع.
(٢) «الحيوان»: ١/ ٥٣.
(٣) «ذكريات علي الطنطاوي»: ٤/ ٧٧.

كيف تقرأ أخي المسلم وتستفيد من قراءتك؟

لا بد ـ أخي ـ قبل الخوض في التفصيلات أن تعلم أنه يحسن بك أن تقرأ بنية الانتفاع بما في الكتب، وتطبيق نافعها على نفسك وأهلك؛ حتى تكون ممن يجمع بين العلم والعمل.

والكتاب ـ على أهميته ـ لا ينفرد بتحصيل الفائدة المرجو عَوْدها على القارئ ما لم يكن القارئ واعياً فاهماً مدركاً لما حوله تمام الإدراك؛ فبقدر وعي القارئ تتم الاستفادة من القراءة، وبقدر قراءته لصفحات الكون قراءة جيدة تحصل له الفائدة الكاملة عند قراءته لصفحات الكتب، قال أحد الأساتذة: (الكتاب وحده لا يصل بنا إلى النمو العقليّ والنفسيّ إلا إذا مزجنا قراءاتنا بتأملاتنا وخبرتنا وتجارب الغير وما يجري معنا وحولنا كل يوم وكل ما نراه في الطبيعة ويقع تحت حسنا وإدراكنا، فكل هذه كتب مفتوحة يجب ألا نهملها عندما نقرأ ونفكر، قال «جونسن»: من يتصور أن الأفكار لا توجد إلا في الكتب وأن في الكتب كل الأفكار، فما هو إلا واهم. والأفكار تجري مع الأنهار والمجاري، وتطفو على وجه البحر، وتتكسر على شواطئه، وتسكن التلال والجبال، وتسطع مع نور الشمس... إن الأفكار موجودة في كل زمان ومكان)[(١)].

---

(١) مجلة «الرسالة»: العدد ٨٤٢، السنة ١٧، شوال سنة ١٣٦٨، ص١٢٥٤.

ثم إنك ـ أخي القارئ المقبل على القراءة ـ لا بد أن تكون من أهل هذه الأصناف الثلاثة: مبتدئ، طالب علم، عالم مُنْتَهٍ.

أولاً: إن كنت مبتدئاً في طلب العلم فهذه جملة نصائح لك:

١ـ شراء الكتب بعد الاستشارة:

كثير من الشباب ـ خاصة من التزم منهم شرائع الإسلام حديثاً وأقبل عليه ـ يقبل على شراء كل كتاب تقع عليه يده، فيشتري الغَثّ والسمين، وكثير منهم يقبل على شراء كل مصنفات بعض المصنفين مهما كان ذلك الكتاب مرتفعاً على فهم أمثاله، أو مستعصياً على معرفته الضحلة.

وقد تُشترى كتب كثيرة لا يحتاج إليها مدى الحياة، وذلك للفوضى الشرائية ـ إن صح التعبير ـ والمال الميسّر عند كثير من الشباب، فيقبل على شراء كل كتاب سواء انتفع به أو لا.

وإن المرء ليعجب أحياناً من شهوة الشراء هذه التي لا فائدة كبرى تُرجى من ورائها، وأحياناً يكون لدى بعض الشباب مكتبة ضخمة هائلة لكنه غريب عنها مقطوع الصلة بها؛ إذ أنه شغل وقته بالشراء والتجميع لا بالفهم والاستفادة.

فالاستشارة قبل الشراء مفيدة؛ خاصة إذا استشير من يوثق بعقله وعلمه.

٢ ـ اقرأ الكتب الواضحات التي لا غموض فيها ولا تعقيد ولا تكلف.

ويفضل أن تستشير من تثق بعلمه قبل بدئك القراءة والاطِّلاع حتى لا تغرق في بحر الكتب، وأنت لا تجيد الخوض فيه.

٣ ـ يحسن بك أن تقرأ على شيخ أو بمعية طالب علم أحسنَ حالاً منك:

إذ أن زادك الضعيف وثقافتك المحدودة لا يخوِّلانك أن تفهم ما في الكتب على الوجه الصحيح.

قال كمال الدين الشُّمُنِّي(١):

من يأخذ العلم عن شيخ مشافهة
يكن من الزيف والتصحيف في حَرَم(٢)

ومن يكن آخذاً للعلم من صُحُف
فعلمه عند أهل العلم كالعدم(٣)

وللأسف الشديد فإن أكثر طلبة العلم قد زهدوا في هذه السُّنة ـ سنة القراءة على أهل العلم ـ حتى ظهر منهم أمور من الشذوذ ومخالفة الإجماع والفتاوى الغريبة بسبب انكبابهم على الكتب وتركهم العلماء.

قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: «من تفقَّه من بطون الكتب ضيَّع الأحكام»(٤).

٤ـ التدرج في القراءة:

فلا يُعقَل أن تقرأ في السنن قبل معرفة فروض العين والكفاية، ولا أن تقرأ في الأصول قبل أن تتذوق علوم اللغة، وهكذا.

---

(١) محمد بن محمد حسن التميمي الداري الشُمُنِّي المغربي الأصل السكندري ثم القاهري الملكي. ولد سنة ٧٦٦ واشتغل بالعلم في بلده ومهر، وسمع الكثير، وتقدم في الحديث وصنف فيه. توفي سنة ٨٢١. انظر «المختار المصون»: ٢/ ٥٣٤ ـ ٥٣٥.

(٢) أي في أمن من التصحيف؛ وهو نوع من سوء الفهم للمكتوب.

(٣) «الضوء اللامع»: ٩/ ٧٥.

(٤) نقلاً عن «الوقت عمار أو دمار»: ٦٧.

ومن باب التدرج يحسن بك قراءة بعض القَصص التي فيها من سلاسة الأسلوب وقوة المعاني ما يكون عوناً لك في بدايتك، مثل «صور من حياة الصحابة والتابعين» للأستاذ عبد الرحمن الباشا رحمه الله، ومثل قصص الكيلاني[١]، والحمصي وغيرهم من الأدباء الإسلاميين.

ويحسن بك ـ أيضاً ـ قراءة بعض الكتيبات النافعة التي تفتح لك أبواباً من العلوم تلج منها إلى الكتب الكبيرة والموسوعات.

وقد اعتنى بعض العلماء وطلبة العلم بوضع جداول ترتَّبت فيها الكتب ترتيباً يعين على تحمل العلوم واكتسابها بيسر يخلص القارئ من تخليط الابتداء[٢].

٥ ـ قراءة الكتب المشكولة:

حاول ـ أخي القارئ المبتدئ ـ أن تقرأ الكتب المشكولة فهي مفيدة لك في ابتداء الطلب، وتعينك كثيراً على فهم المراد والتعود على القراءة الصحيحة.

ومثال تلك الكتب كتب الشيخ عبد العزيز السلمان[٣] الوعظية؛ فهي كتب نافعة في هذا الباب.

٦ ـ الحذر من مزالق القراءة، وهي نوعان:

أ ـ النقد قبل الفقه:

احرص ـ أخي المبتدئ ـ ألا تنقد الكتاب أو أن تشهِّر بمسائل فيه

---

(١) لا بد من معرفة أن الكيلاني رحمه الله يخلط في قصصه الأحداث التاريخية بقصص الحب التي قد لا تكون مناسبة للناشئة لما فيها من ذكر القُبل والضم وغير ذلك.

(٢) وذلك نحو «الجداول الجامعة» للدكتور جاسم المهلهل الياسين.

(٣) شيخ فاضل من علماء نجد، نسأل الله تعالى أن يبارك في علمه وعمره.

تظنها خطأ لأنها بخلاف ما سمعته أو قرأته قبل ذلك، فإن شأنك شأن القارئ المُسَلِّم بما يقرأ حتى يشتدَّ عودك، وتفقه مسائل الخلاف.

ب ـ التعالم:

واحرص كذلك على عدم التعالم وإظهار أنك قد بلغت مبلغاً حسناً من العلم، فأنت ما زلت في أوائل الطريق الطويل، ولا تكن ممَّن تمثلَّ فيه الشاعر:

تصدَّر للتدريس كلُّ مُهَوّس
بليد تسمَّى بالفقيه المدرسِ
فَحُقَّ لأهل العلم أن يتمثلوا
ببيت قديم شاع في كل مجلسِ
«لقد هَزُلت حتى بدا من هُزَالها
كُلاها وحتى سامها كلُّ مُفلسِ»[1]

أو ممن قال فيه الشاعر:

لما تبدلت المجالسُ أوجهاً
غير الذي عَهِدْتُ من عُلمائها
ورأيتها محفوفة بسوى الأُلَىٰ
كانوا ولاةَ صدورها وفِنائها
أنشدتُ بيتاً سائراً متقدماً
والعين قد شَرِقت بجاري مائها

(١) «صفحات من صبر العلماء»: ٢٦٥ ـ ٢٦٦.

«أمــا الــخــيــام فــإنــهــا كــخــيــامــهــم
وأرى نــســاء الــحــيِّ غــيــر نــســائــهــا»[(١)]

٧ ـ البُعد عن الكتب المشوِّشة:

واحرص كذلك ـ أخي المبتدئ ـ ألا تقرأ كتب الفتن والشغب، أو الكتب التي تُحطّ من أقدار علماء المسلمين، وتثلب أعراضهم، أو تظهر عيوبهم:

يقول ابن القيم[(٢)] رحمه الله تعالى: (أعلى الهمم في طلب العلم طلب علم الكتاب والسنَّة، والفهم عن الله ورسوله نفس المراد، وعلم حدود المنزّل، وأخسّ همم طالب العلم قصر همّته على تتبع شواذّ المسائل وما لم ينزل ولا هو واقع، أو كانت همته معرفة الاختلاف وتتبع أقوال الناس، وليس له همّة إلى معرفة الصحيح من تلك الأقوال، وقلَّ أن ينتفع واحد من هؤلاء بعلمه).

واحذر كثيراً من كتب الفلاسفة، ومن لفّ لفَّهم من أصحاب العقائد الفاسدة، واحذر ـ كذلك ـ انحدار القُصاص وتهويم الشعراء.

٨ ـ عدم قراءة الكتب الموجهة لغيرك:

احرص على عدم قراءة الكتب التي لم توجه لك ولا لأمثالك؛ إنما وجهت لطائفة محددة من الناس أو فئة من فئات المجتمع، فإنك لن تنتفع بذلك ـ غالباً ـ فالمصنف يخاطب قوماً عرفوا ماذا يريد، وما

---

(١) المصدر السابق.

(٢) هو الشيخ الإمام أبو بكر محمد بن أبي بكر بن أيوب الزُّرَعي الدمشقي، شمس الدين ابن قيم الجوزية الحنبلي. ولد سنة ٦٩١. كان جريء الجنان، واسع العلم، عارفاً بالخلاف ومذاهب السلف. كان كثير الصلاة والتلاوة، حسن الخلق. توفي بدمشق سنة ٧٥١. انظر «الدرر الكامنة»: ٤/ ٢١ ـ ٢٢.

الذي يرمي إليه، وقد تكون تلك القراءة منهجية بالنسبة إليهم، فقراءتك مثل ذلك الكتاب ستكون مفضولة، والله تعالى أعلم.

ثانياً: إن كنت طالب علم قد قطعت شوطاً طويلاً في الطريق وحذقت الكتب وفهمت مصطلحاتها، وقد حصَّلت طرفاً من علوم الشرع واللغة، فهذه جملة نصائح لعلها تفيدك:

١ ـ القراءة للمبدعين:

اقرأ للمصنفين المبدعين الذين لا زالت كتبهم ضياءً للسائرين، وأعرض عن الكتب التي فقدت أهميتها بسبب قدمها وعدم مناسبة ما فيها للعصر.

٢ ـ الرجوع إلى المصادر الأصلية:

ارجع إلى المصادر الأصلية واغرف منها كما غرف غيرك، واعلم أنك ستستفيد فائدة كبرى ـ إن شاء الله تعالى ـ إن عدت إليها وتركت كثيراً من المراجع التي غرفت منها، وذلك أن لكثير من المصنفين الأوائل طريقة وروحاً في الكتابة ليست لمن بعدهم، والله أعلم[(١)].

٣ ـ افهم موضوع الكتاب:

وذلك إمَّا بالرجوع إلى مقدمة الكتاب أو إلى فهارسه، واعرف دلالة العناوين على مضامينها يذهبْ عنك سوء الفهم الذي قد يصاحب مَنْ يقرأ بعض الكتب.

ومن المهم أن تفهم مصطلحات الكتاب، فإن لكل كاتب ـ غالباً ـ مصطلحات خاصة به قد لا يُفهم الكتاب بدون فهم تلك

(١) استفدت هذه الفقرة من كتاب «القراءة المثمرة»: ٥٦.

المصطلحات، وغالباً ما يوضح المصنف مقصوده من مصطلحه ذلك في مقدمة كتابه.

٤ ـ القراءة النقدية:

لا بدَّ حال القراءة من أن تقرأ قراءة ناقد خبير، فلا تُسلِّم بكل ما تقرؤه، وتمعَّن وتوثَّق من الكلام الذي تقرؤه، وفرِّق بين الغَثِّ والسمين من الأقوال، ووازن بين الأدلة واعرف مدى صحتها وملاءمتها، واجمع ما كتب في الموضوع الواحد من مصادرَ متعددة، واجعل هذا ديدنك إلا في العلوم التي لا باع لك فيها:

الكُتب تذْكارٌ لمن هو عارفٌ
وصحيحها بسقيمها معجونُ
والفكر غواص عليها مُدرك
والحق فيها لؤلؤٌ مكنونُ

ولكن هذا لا يعني أنك تسارع إلى النقد لكل ما ترى ـ بادي الرأي ـ أنه يخالف ما تذهب إليه أو تعتقده، فالتمهل وإحسان الظن والوقوف عند العبارات طويلاً لالتماس الأعذار مذهب أولي الفهم والعقل والاعتبار، وطريقة علمائنا الكبار، فلا ينبغي التسليم بكل شيء، ولا الوقوف موقف المسارع إلى الإنكار والرد في كل شيء، وقد قيل قديماً: «من قل علمه كثر انتقاده»، وهذا صحيح إلى حد كبير، والله المستعان.

٥ ـ اقتناء الكتب المحققة:

اقتن ـ ما استطعت ـ الكتب المحققة تحقيقاً علمياً جيداً فإنك ستأمن من السقط والتحريف غالباً، وستكون الكلمات الغامضة مشروحة والأحاديث محققة مما يوفر عليك جهداً وعناء كبيرين.

وهناك مثال جيد على هذا وهو كتاب «تاج العروس من جواهر القاموس» أي القاموس المحيط، ومؤلف تاج العروس هو الزبيدي[١] رحمه الله، والكتاب قد حقق تحقيقاً لا بأس به، وغالب كلماته مشكولة، والشَّكْل في القواميس يعطيها أهمية عظيمة لأنه قلَّ من يستطيع قراءة تصريفات الكلمة قراءة صحيحة بدون شكل.

وهناك بعض المعاجم والفهارس والكتب مثل «معجم ألفاظ الحديث النبوي» و «القاموس المحيط» و «المصباح المنير» قد نشرت نشراً جيداً، وممّا يزيد تلك الكتب وأمثالها قيمة أن الناشر لها قد طبع الكلمات المطلوبة باللون الأحمر، فإذا قصدت معرفة كلمة من «القاموس المحيط» ـ مثلاً ـ في طبعته القديمة فستستغرق لمعرفتها من الزمن أضعاف ما لو رجعتَ إلى الطبعة الجديدة المشار إليها، وهكذا. . . فتحرِّي الكتب المحقَّقة والمخدومة يفيد في باب القراءة النافعة أيَّما فائدة.

٦ ـ وضع العلامات على الغرائب:

ضع علامة على ما لم تفهمه من الغرائب والمُبهمات كي تسأل عن معانيها فيما بعد، ففي ذلك إثراء لما تحفظ وتعرف من مفردات وأساليب، وإنما لم أرتض هذه الطريقة للمبتدئين لأن المبتدئ سيضع علامات على غالب الكتاب؟!!

---

(١) السيد الفاضل الهمام مرتضى الزبيدي، اللغوي المحدث، الأصولي. ولد سنة ١١٤٥، وارتحل في طلب العلم، وحج مراراً ثم استقر في مصر سنة ١١٦٧ وتزوج بها، ثم ادعى المهدية فسقط سقطة كبيرة. توفي بمصر سنة ١٢٠٥ ولم يعقب. انظر «المختار المصون»: ٣/ ١٦٦٨ ـ ١٦٧٦.

٧ـ جمع الفوائد:

استصحب القلم حال القراءة واكتب ما تراه من فائدة بطريقة معينة تستفيد منها فيما بعد، فإما أن تكتب الفوائد في آخر الكتاب بإحالات على أرقام الصفحات، أو بكتابتها في كتاب مستقل، فإذا ثابرت على هذه الطريقة يحصل لك ما يسمى بالكشكول وهو كتاب جامع لفوائد من كل العلوم، فإذا تقدَّم بك الزمان وأمهلك القدَر فسيكون لفوائدك هذه شأن خاصَّة إذا كنت من طلبة العلم النَّابهين، وليس أدلَّ على ذلك من كتابَي «المِخْلاة» و «الكشكول»[١] للبهاء العاملي[٢] ففيهما فوائد مجموعة بشكل عجيب، وهي خلاصة ثقافة وعلم ومعرفة طويلة.

٨ ـ تقسيم الفوائد:

اجمع النظير إلى مثله والفائدة إلى أختها؛ حتى تكون فوائدك وملاحظاتك مجموعة بشكل منهجي مرتب؛ يساعدك فيما بعد على التحضير والاستفادة ممَّا كتبت.

٩ ـ الاستفادة من فهارس الكتب:

استفد من فهارس الكتب خاصة الكتب التي يعتني مؤلفوها

---

(١) موضوع الكشكول مثل موضوع المخلاة، والمخلاة لفظ معناه الكيس الذي يُجعل فيه العلف ويُعلق في عنق الدابة، فالمخلاة ـ هنا ـ بمعنى الوعاء الذي جمع فيه صاحبه معلومات متفرقة.

(٢) محمد بن حسين بن عبد الصمد، بهاء الدين الحارثي العاملي الهَمْداني، صاحب التصانيف والتحقيقات. ولد ببعلبك سنة ٩٥٣، وانتقل به أبوه إلى بلاد العجم وارتقى في المناصب حتى ولي مشيخة الإسلام. كان ـ فيما قيل ـ يترفَّض لكن تقية بسبب مقامه عند سلطان العجم «إيران». كانت وفاته سنة ١٠٣١ بأصفهان. انظر «المختار المصون»: ٢/ ١١٠٠ ـ١١٠٣.

بالفهارس مثل الشيخ أحمد شاكر، والشيخ عبد الفتاح أبو غُدَّة، والأستاذ عبد السلام هارون رحمهم الله تعالى وغيرهم.

وتعلم طريقة الرجوع إلى المعاجم والفهارس والموسوعات.

١٠ ـ التنوع في القراءة:

اقرأ في علوم وفنون متنوعة قبل تخصصك في علم بعينه، وهذا يجعلك ملمَّاً إلماماً عامَّاً بمعظم مناحي الشرع، ويُعظم «ثقافتك» ويوسع مداركك.

قال يحيى بن خالد[١] لابنه: (عليك بكل نوع من العلم فإن المرء عدوّ ما جهل، وأنا أكره أن تكون عدوَّ شيء من العلم)[٢].

١١ ـ التخصص:

حاول أن تنحوَ منحى التخصص فيما تقرأ، إذ بعد قراءتك لكتب العلوم المنوَّعة والطرائف المشوِّقة لا بدَّ أنَّك قد أَنِسْتَ من نفسك ميلاً إلى علم من العلوم فتخصص فيه، واقرأ كُتبه، وأقبل عليه فستستفيدَ فائدة عُظمى ـ إن شاء الله ـ وتكون مرجعاً في هذا العلم إن أخلصت النيَّة والطَّلب، فمن أَلِفَ قراءة كُتب الحديث رسخت مصطلحاته في ذهنه رسوخاً يُسهل عليه المرور على كتب الحديث مروراً سريعاً، ومن تخصص في قراءة كتب التاريخ ـ مع إلمام بقواعده العامة ومزالقه ـ سيصبح عنده من الرصيد ما يفوق به الأكاديميّن القانعين بشهاداتهم، والتخصص طريق الإبداع.

---

(١) يحيى بن خالد بن بَرْمك. الوزير السَّرِي الجواد، مؤدب الرشيد ومعلمه ومربيه، اشتهر بجوده وحسن سياسته، ولمَّا نكب الرشيد البرامكة قبض عليه وسجنه بالرقة حتى مات. ولد سنة ١٢٠ وتوفي سنة ١٩٠. انظر «الأعلام»: ٨/ ١٤٤.

(٢) «أدب الدنيا والدين» نقلاً عن: «الوقت عمار أو دمار»: ٥٩.

ويندر في عصرنا من يستطيع أن يحيط بالعلوم كما كان يفعل كثير من أفذاذ سلفنا، إذ عصرنا مليء بما يصدّ عن تحصيل العلوم بشكل موسوعي، والهمم ليست كهممهم، والله أعلم[١].

قال أحد الباحثين الفضلاء: «من المتعذر اليوم أن يستمر نمط العالم الموسوعي الذي يلم بعلوم عصره. ونموذج الفقيه المفسر الطبيب الفلكي الذي قدمه بعض علمائنا في التاريخ، يبدو أنه قد انتهى إلى غير رجعة».

ثم ذكر أنه «كانت فروع العلوم الطبيعية في الولايات المتحدة الأمريكية قبل نصف قرن نحواً من ثلاثين فرعاً، وهي الآن تزيد على ألف فرع»[٢].

١٢ ـ التحديث بمضمون القراءة:

حاول أن تحدث إخوانك في ندوة أو محاضرة عامَّة ـ إن كنت ممن يستطيع الحديث وتنسيق الكلام ـ من مضمون ما قرأت وعلمت فهذا يساعدك على ترسيخ ما قرأته في ذهنك، وفي الوقت نفسه تفيد إخوانك وعامة المسلمين.

١٣ ـ الاهتمام بقراءة الكتب ذات الأساليب الرصينة والمعاني القوية:

آفة طلاب العلم اليوم ركاكة الأسلوب وضعف المعاني، وهذا يعود إلى تركهم قراءة أمهات الكتب التي تعين على تحصيل جزالة الأسلوب وقوة المعاني ووضوحها.

---

(١) ارجع لكتاب «التنازع والتوازن في حياة المسلم» ففيه تفصيل لهذا الأمر.
(٢) «القراءة المثمرة»: ٨٥.

ويُنصح في هذا الباب بقراءة أدب الجاحظ وابن المقفّع[١] وابن قتيبة[٢] وغيرهم من أئمة الأدب، إذ أنَّ كتبهم تورث قارئها جزالةً وقوة في معانيه وألفاظه وتعينه على فهم كلام العرب ومخاطباتهم الذي هو مفتاح تعلم علوم الكتاب والسنَّة.

ولا شك أنك قد بلغت من التميز مرتبة تجعلك في مأمن مما في بعض هذه الكتب من المزالق العقدية، والأخطاء العلميَّة.

١٤ ـ حفظ بعض المقروء:

احفظ بعضاً ممَّا قرأت فأعجبك، حيث إن هذا الحفظ يساعدك كثيراً على تحضير المواضيع وإلقاء الخطب، ويجعل أسلوبك جزلاً قويَّاً لأنك خلطت كلامك بكلام أئمة في العلم واللغة.

كان المأمون يوصي بعض بنيه فيقول:

«اكتب أحسن ما تسمع، واحفظ أحسن ما تكتب، وحدث بأحسن ما تحفظ»[٣].

---

(١) عبد الله بن المقفّع من أئمة الكتاب و أول من عُني في الإسلام بترجمة كتب المنطق. ولد سنة ١٠٦ في العراق وأصله من الفرس، ولد مجوسياً وأسلم على يد عيسى بن علي عم السفَّاح، وولي كتابة الديوان للمنصور العباسي، اتهم بالزندقة فقتله أمير البصرة بها سنة ١٤٢. انظر «الأعلام»: ٤/ ١٤٠.

(٢) العلامة الكبير أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينَوري. نزل بغداد، وصنَّف وجمع وبَعُد صِيته. وكان ثقة ديّناً فاضلاً، رأساً في علم اللسان العربي والأخبار وأيام الناس . مات ببغداد فجأة سنة ٢٦٧ رحمه الله تعالى. انظر «سير أعلام النبلاء»: ١٣/ ٢٩٦ ـ ٣٠٢، و«الأعلام»: ٤/ ١٣٧.

(٣) «تقييد العلم»: ١٤١.

١٥ ـ دمج الأفكار الجديدة مع التجارب:

ادمج الأفكار الجديدة التي اكتسبتها مع تجاربك السابقة حتى تخرج بالجديد في الفهم والسلوك، وتتعمق ميولك واتجاهاتك العقلية الفكرية، وتكتسب شخصية أكثر غنى في الأفكار وثباتاً في الرأي[١].

١٦ ـ تخير الكتب المَرْضية:

ثم أوصيك ـ وأنت أهل لهذه الوصية ـ أن تتخيَّر من الكتب ما كان مصنفوها على الطريقة المرضيّة من الورع والتقوى والعلم، ولا تغترَّ بالألقاب العلمية ولا بأسماء الكتب المزخرفة، فكم من كتاب قد حوى أموراً من الغرائب والطامَّات قد ضلَّ بقراءته أناس كثيرون، إذ الكتاب أداة لا مثيل لها في هدم وبناء الأفكار والعقول، والله الموفق.

وقد قال ابن جماعة[٢] رحمه الله تعالى: «إذا اعتبرت المصنفات وجدت الانتفاع بتصنيف الأتقى الأزهد أوفر، والفلاحَ بالاشتغال به أكثر»[٣].

وأما إن كنت قد توسَّعت في قراءة بعض كتب المبتدعة أو الضالين لغرض تخصصي أو معرفي؛ فلا بدَّ أن تضعها في مكان خاص بها في

---

(١) «القراءة أولاً»: ١٤٤.

(٢) الشيخ الإمام محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني الحموي الشافعي. ولد بحماة سنة ٦٣٩. وتفقه ومهر في الفنون، ثم ولي قضاء القدس وقضاء الديار المصرية ثم تنقل في المناصب المختلفة من قضاء في الشام وخطابة بها وغير ذلك. كان ورعاً، حسن الهَدْي، متين الديانة، ذا تعبد وأوراد، متقشفاً، مقتصداً في مأكله ومركبه، وملبسه ومسكنه. توفي سنة ٧٣٣. انظر «الدرر الكامنة»: ٣/ ٣٦٧ ـ ٣٦٩.

(٣) «تذكرة السامع والمتكلم»: ٨٧.

المكتبة، وأن تبيِّن أنك اقتنيتها لغرض معين، وهذا التبيان إما أن يكون على الكتاب نفسه أو في وصيتك.

كان علاء الدين القونوي[١] ـ أحد فقهاء الشافعية ـ رحمه الله «يكتب بخطه على ما يقتنيه من الكتب التي تخالف السنَّة ما نصّه:

عرفت الشرَّ لا للشرِّ ولكن لتوقِّيه

ومن لا يعرف الشرَّ من الخير يقع فيهِ»[٢]

١٧ ـ طبِّق ما تقرؤه من خير ورشد على نفسك:

وارتقِ بمعارفك وثقافتك بالاستفادة من قراءتك، ولا يكن همك القراءة من أجل القراءة لكن للاستفادة والارتقاء في مناحي الحياة المختلفة، وللوصول إلى رضا الله تعالى.

ثالثاً: أما إذا كنت من العلماء فليس حديثي موجهاً إليك، ولا يحق لمثلي أن يوجِّهك أو يقومك، جعلنا الله علماء عاملين.

ولكني أتحفك بكلام للجاحظ لا تَعْدم منه فائدة ـ إن شاء الله تعالى ـ فقد قال:

«فالإنسان لا يعلم حتى يكثر سماعه، ولا بد من أن تكون كتبه أكثر من سماعه، ولا يعلم ولا يجمع العلم ولا يُختلف إليه حتى يكون الإنفاق عليه من ماله ألذَّ عنده من الإنفاق من مال عدوه.

---

(١) علي بن إسماعيل بن يوسف القونوي علاء الدين، الفقيه الشافعي. ولد سنة ٧٦٨ بقونية من بلاد الروم «تركيا الآن» وقدم دمشق سنة ٧٩٣. تقدم في معرفة التفسير والفقه والأصول وغيرها. تولى قضاء دمشق فأحسن السيرة. مات سنة ٨٢٩. انظر «الدرر الكامنة»: ٣/ ٩٣ ـ ٩٧.

(٢) المصدر السابق: ٣/ ٩٥.

ومن لم تكن نفقته التي تخرج في الكتب ألذَّ عنده من إنفاق عشاق القيان[١] والمستهتَرين[٢] بالبنيان لم يبلغ في العلم مبلغاً رضيَّاً».

وفي كلامه هذا ردٌّ على بعض الجهَّال الذين إذا رأوا مكتبة كبيرة بادروا بسؤال صاحبها: هل قرأت كل ما فيها؟!.

(١) المغنين.

(٢) المحبين الولعين.

طرق ومفاهيم تساعد على إتقان القراءة والسرعة فيها

لا شك أن الوقت هو الحياة وأن المتهاون فيه متهاون في شيء عظيم، وقد يغيب عن القارئ كيفية زيادة سرعته في القراءة وكيفية إتقانها حتى يكون مستثمراً لوقته، إذ القارئ تقاس كفاءته بأمرين: سرعة القراءة مع صحتها، ودرجة الاستيعاب.

وتعلم المهارات التي تجعل الإنسان يقرأ بسرعة أمر مهم لضخامة المادة الثقافية التي يحسن بالإنسان مطالعتها في هذا العصر؛ من جرائد ومجلات وكتب تقذفها المطابع كل يوم إلى الأسواق، ويضيق وقته عن قراءتها بتأن وبُطء(١).

وقبل الكلام عن هذه المهارات أحب أن أنصح إخواني بنصائح غالبها مستقى من التجربة وهي مفيدة ـ إن شاء الله ـ في هذا الباب:

---

(١) قال الأستاذ عبد الكريم بكار: «لو قدر للمرء أن يقرأ في حياته ستين سنة، وقرأ في كل أسبوع كتاباً فإنه يكون قد قرأ نحواً من ثلاثة آلاف كتاب وهو رقم متواضع جداً بالنسبة إلى ما هو منشور» ثم قال: «تقوم السوق الأوروبية المشتركة بمشروع عملاق لربط كثير من مكتبات أوروبة بشبكة معلومات هائلة، وسيتم إنزال نحو مليارين ومئة مليون كتاب على تلك الشبكة». «القراءة المثمرة»: ٣٩.

١ ـ القراءة الصامتة مفيدة في سرعة القراءة فلا تجهر إلا حال قراءتك للقرآن وما تحتاجه من الأذكار التي تحتاج منك إلى تدبر لما تقرؤه، أو ما يلزم فيه أن يُقرأ جهراً؛ مثل القراءة أمام المحافل لقصائد وأخبار وما شابه ذلك، أو القراءة على المشايخ، أو القراءة بغرض التعليم. . . إلخ.

هذا؛ وإنه لمن دلائل الأمية الثقافية عدم استطاعة القراءة إلا بصوت مسموع.

وتوصل أحد الباحثين إلى أن الإنسان لا يستطيع أن يقرأ قراءة جهرية تُفهم السامع إذا زادت سرعته عن ٢٥٠ كلمة في الدقيقة، في حين أن القراءة الصامتة لا يُتقيد فيها بمثل هذا.

وقد توصل أيضاً إلى أن الناس تبلغ سرعة قراءتهم حال القراءة الصامتة ٣ ـ ٧ أضعاف سرعتهم في القراءة الجهرية[١].

وفي القراءة الجهرية يعتني القارئ بإخراج الكلمات بوضوح وضبطها، فتتأخر سرعة التفكير فيما يقرؤه فتتأخر بهذا سرعة القراءة[٢].

٢ ـ عيّن للكتاب المراد قراءته زمناً معيناً، فمثل هذا التعيين يكون عاملاً نفسياً ضاغطاً على القارئ كي يعتاد السرعة في القراءة، فمن قرأ كتاباً يمكن أن يُقرأ في عشرة أيام في ستة أشهر مثلاً فهو ليس قارئاً كفؤاً أبداً.

٣ ـ القراءة بمراعاة قواعد اللغة تُبطئ من سرعة القراءة ولكنها تعود على القارئ بفوائد عُظمى، وسوف يستطيع ـ إذا ثابر ـ أن يقرأ بسرعة مع مراعاة تلك القواعد.

---

(١) «القراءة»: ٥٦ ـ ٦٦.

(٢) المصدر السابق: ٦٦.

٤ ـ تعود أن تقرأ في كل مكان، في السيارة والحافلة والطائرة، وحال الصخب وحال الهدوء، وحال التعب الخفيف إلى المتوسط، والمرض الخفيف إلى المتوسط فستصبح القراءة عادة مكتسبة، يقول ابن القيم رحمه الله تعالى: «أعرف من أصابه مرض من صداع وحمى، وكان الكتاب عند رأسه فإذا وجد إفاقة قرأ فيه، فإذا غُلب وضعه»[١].

وذلك كلُّه بشرط توفر الحد الأدنى ـ على الأقل ـ من الحضور الذهني الضروري لفهم واستيعاب المقروء.

٥ ـ قسم الكتاب إلى قسمين: قسم يُقرأ كل ما فيه، وقسم يقرأ بعضه ويترك الباقي مما لا فائدة فيه للقارئ أو كانت الفائدة فيه مفضولة يمكن تجاوزها إلى أحسنَ منها.

وبعض الناس يظن أنَّ قراءة الكتاب كله شرط أو دليل على تحصيل الفائدة، وهذا ليس أمراً مطَّرداً بل يحسن بالأخ ـ أحياناً وفي بعض الكتب ـ أن يرجع إلى الفهارس ليختار منها ما يقرؤه.

٦ ـ تجاوز ـ حال قراءتك ـ ما هو معروف عندك تمام المعرفة، أو غامض كلَّ الغموض، فهذا يوفِّر عليك جهداً ووقتاً ليس بالقليل، ولمعرفة هذا أضرب لك أمثلة:

أـ إذا صادفتك قصَّة قد قرأتها مرَّات وكرَّات فاتركها ولا تقرأها.

ب ـ وكذلك إذا صادفك حديث تحفظه عن ظهر قلب أو حكَمٌ وأمثال.

---

(١) «روضة المحبين»: ٧٠.

ج ـ قد يصادفك في بعض فصول الكتب أبواب لا قِبَلَ لك بقراءتها وإذا قرأتها فلن تفهمها، وذلك نحو بعض المباحث في علوم أصول الفقه وعلم الكلام والمنطق وعلم القراءات. . . إلخ. فمجاوزة مثل هذا مما يغمض عليك فَهمُه خيرٌ من قطع الساعات الطويلة لتخمين المراد، وقد لا تظفر بنتيجة ما.

وخير مثال للكتب التي يمكن تجاوز كثير مما فيها ما نشاهده اليوم من مئات الكتيبات التي تملأ الأسواق، إذ أنَّ كتاباً من مئة صفحة ـ مثلاً ـ قد تقرأه كله في مدة لا تتجاوز ثلث ساعة فقط لكثرة ما فيه من عشرات الأمثلة والقصص والشواهد التي يمكن تجاوزها مع الفهم العامّ لمراد الكاتب. وهذا يصدق كثيراً على نسبة كبيرة من الكتيبات والكتب التي تملأ الأسواق وغالبها مكرور أو قليل الفائدة.

ومجاوزة ما يعرفه القارئ سلفاً أمرٌ يعدُّه بعض الناس من الممنوعات وهذا ليس بصحيح؛ إذ كلما ازدادت علوم المرء وثقافته نقصت المدة اللازمة لقراءة كتاب ما من الكتب التي أشرتُ إليها آنفاً، والله أعلم.

٧ ـ التعرف على النص المكتوب بدون أن يُقرأ كله:

وهذه طريقة مفيدة للسرعة في معرفة بعض الموضوعات المكتوبة التي لا يراد قراءتُها كلُّها؛ فإما أن تَتَصفح الأوراق تصفحاً سريعاً لمعرفة ما تريده منها، أو أن تنظر في المقدمة والفهرس وبعض الفصول لتحصل على المراد، أو أن تبدأ قراءة النص حتى إذا عرفت مراد الكاتب منه تركته، وهكذا[١].

---

(١) انظر «القراءة أولاً»: ١٣٥.

٨ ـ تدرب على اكتساب المهارات العقلية المطلوبة للإسراع في القراءة:

وذلك من حيث ثروة المفردات، وإدراك المعنى القريب والمعنى البعيد، وهدف الكاتب والمغزى الذي يرمي إليه، والعناصر التي ينقسم إليها الموضوع، والعلاقات المنطقية بين أجزائه، والأسلوب البلاغي للكاتب[١].

٩ ـ حاول أن تتفق مع بعض الصحاب لقراءة كتاب ما، فالتنافس لإنجاز شيء ما مفيد مجرَّب.

١٠ ـ اقرأ في أوقات فيها طول نسبيّ فلا يقطعك عن الكتاب قواطع متتابعة، وذلك مثل القراءة بعد صلاة الفجر أيام الإجازات أو بعد صلاة العشاء أوقات الشتاء.

«وأجود الأوقات للحفظ الأسحار، وللبحث الإبكار، والكتابة وسط النهار، وللمطالعة والمذاكرة الليل»[٢].

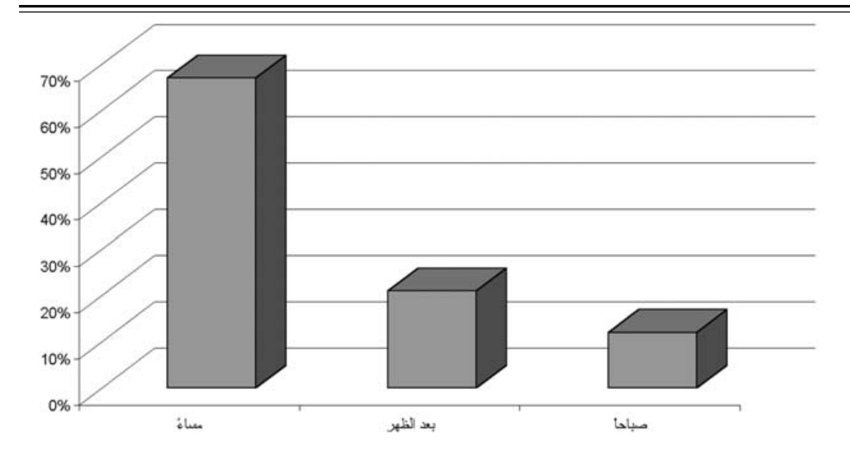
وهناك دراسة ميدانية[٣] جرت في خمس دول عربية هي السعودية ومصر والكويت وسورية ولبنان لغرض معرفة أمور كثيرة تتعلق بالقراءة والمنافسة بينها وبين الوسائل الثقافية الأخرى، وقد أوردت هذه الدراسة متوسطاً للزمان المفضل للقراءة لدى مجموعات من المثقفين الجامعيين في تلك الدول الخمس، ونتائج هذه الدراسة ظهرت ممثلة في الرسم التالي:

---

(١) انظر «القراءة أولاً»: ١٠٦.

(٢) «تذكرة السامع والمتكلم»: ٧٢.

(٣) انظرجريدة «الحياة»: عدد رقم ١٢٥٢١، بتاريخ ٦ صفر ١٤١٨.



متى تقرأ؟

صباحاً	٪١٢
بعد الظهر	٪٢١
مساءً	٪٦٧

والقراءة المتقطعة تؤدي إلى فقدان الرابط بين المادة المقروءة فتقل الفائدة. وقد ذكر بعض الباحثين أن القارئ يمكن له أن يقرأ ست ساعات متواصلة قبل أن يُصاب بالتعب البصري والجسمي[١].

١١ ـ خذ بالنصائح الصحية التي تحافظ بها على سلامة عينيك مثل توفر الضوء الكافي والأكل الصحّي وغير ذلك.

هذه جملة من النصائح التي هي ناشئة عن التجربة والاطّلاع، ويمكن أن يضيف إليها كل إنسان ما عنده من الخبرة والتجربة.

(١) «القراءة»: ٧٨.

مناهج وطرق القراءة السريعة

أما الطرق العلمية لتحسين القراءة فقد اضطلع بها الغربيون وقعَّدوها في كتب متعددة وأقاموا لها مدارس تُعنى بها، ومن هذه الكتب كتاب «القراءة السريعة»[1] اقتبستُ لك منه ـ بتصرف ـ ما فيه من الفائدة.

وقبل أن أعرض بعض تلك الطرق المفيدة لا بدَّ من إيضاح التالي:

١ ـ اللغة العربية لغة جزلة رصينة تهتم بالمعاني وقوتها والأساليب ونصاعتها، ولا يمكن مقارنة جمالها باللغات الأخرى، فإذا كان الأمر كذلك فلا تظن أنَّ الطرق الواردة في الكتاب يمكن تطبيقها بسهولة حال القراءة في الكتب العربية، ولكن يمكن الاستفادة من تلك الطرق بالمران المتتابع.

٢ ـ قراءات الغربيين تختلف عن قراءاتنا، واهتماماتهم تختلف عن اهتماماتنا، فاهتماماتهم تتعلق بالأرقام والنتائج ـ غالباً ـ أكثر من تعلقها بالمعاني.

٣ ـ لا تطبق هذه الطرق على كتاب الله تعالى المطلوب فيه الفكر والتدبُّر إلَّا ما كان من قراءة استذكار ومدارسة تحتاج إلى سرعة.

---

(١) «القراءة السريعة» روبرت زورن.

٤ ـ نتفق نحن وغيرنا على أنه من المهم تحصيل مهارة السرعة في القراءة، فقد كان سلفنا رضي الله عنهم يسرعون في قراءتهم توفيراً للوقت.

قال شيخ الإسلام الحافظ عبد الله بن محمد الهَرَوي الحنبلي(١): «المحدث يجب أن يكون سريع المشي، سريع الكتابة، سريع القراءة»(٢).

وذكر تاج الدين السبكي(٣) أن شيخ الإسلام ابن دقيق العيد(٤) كان «دأبه الليل علماً وعبادة [أمرٌ] عجاب، ربما استوعب الليلة فطالع فيه المجلد أو المجلدين»(٥).

وقد كان لسلفنا تطبيقات جميلة في باب سرعة القراءة حرصاً على

---

(١) عبد الله بن محمد بن علي الأنصاري الهَرَوي، أبو إسماعيل. شيخ خراسان في عصره، ومن كبار الحنابلة. ولد سنة ٣٩٦، وكان بارعاً في اللغة، وحافظاً للحديث، عارفاً بالتاريخ والأنساب، مظهراً للسنة داعياً إليها، وامتحن وأوذي في سبيلها. انظر «الأعلام»: ٤/ ١٢٢.

(٢) «صفحات من صبر العلماء»: ٣٣٣.

(٣) عبد الوهَّاب بن علي بن عبد الكافي السبكي. تولى منصب قاضي القضاة، وكان مؤرخاً باحثاً. ولد في القاهرة سنة ٧٢٧، وانتقل مع والده إلى دمشق فسكنها وتوفي بها. جرى عليه محن وشدائد في القضاء. وله تصانيف ونظم جيد. توفي سنة ٧٧١. انظر «الأعلام»: ٤/ ١٨٤.

(٤) محمد بن علي بن وهب، أبو الفتح المنفلوطي المالكي ثم الشافعي نزيل القاهرة. ولد بينبع البحر سنة ٦٢٥. وكان إماماً متفنناً مجوداً محرراً فقيهاً أديباً نحوياً، وافر العقل، كثير السكينة، تام الورع، مديم السنن، مكباً على المطالعة والجمع. ولي القضاء في الديار المصرية سنة ٦٩٥ واستمر فيه إلى أن مات سنة ٧٠٢. له مصنفات نافعة. انظر «المختار المصون»: ١/ ٢٠٦ ـ ٢١٠.

(٥) «طبقات الشافعية الكبرى»: ٩/ ٢١١.

أوقاتهم؛ فهذا إسماعيل بن أحمد النيسابوري[١] قد قرأ البخاري في ثلاثة مجالس، يبتدئ من المغرب ويقطع القراءة وقت الفجر، ومن الضحى إلى المغرب، والثالث من المغرب إلى الفجر.

وحكى هو نفسه أن حافظ المغرب العبدوسي[٢] قرأ البخاري بلفظه أيام الاستسقاء في يوم واحد.

وذكر الذهبي[٣] أن الحافظ أبا بكر الخطيب البغدادي قرأ البخاري في ثلاثة مجالس.

قال [أي الذهبي]: وهذا شيء لا أعلم أحداً في زماننا يستطيعه، والذي في ترجمته أنه قرأه في خمسة أيام، وأظنه الصواب[٤] انتهى.

وقد قرأ مجد الدين الفيروز آبادي صحيح مسلم في ثلاثة أيام.

وذكر القسطلاني[٥] أنه قرأ البخاري في خمسة مجالس وبعض مجلس.

---

(١) العلامة المفسر الضرير الزاهد، أحد الأعلام. له تصانيف في القرآن والقراءات والحديث والوعظ. توفي سنة ٤٣٠ وله تسع وستون سنة. انظر «سير أعلام النبلاء»: ١٧/ ٥٣٩ ـ ٥٤٠. وفي ترجمته أن الخطيب البغدادي قرأ عليه البخاري في ثلاثة مجالس.

(٢) لم أهتدِ إلى ترجمته.

(٣) الشيخ الأستاذ الإمام، شيخ الجرح والتعديل، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، شيخ الوجود حفظاً، وذهب العصر لغة ومعنى، ولد سنة ٦٧٣، وصنف المصنفات الكثيرة، وقرأ القرآن بالروايات وأقرأه. توفي بدمشق سنة ٧٤٨ رحمه الله تعالى. انظر «طبقات الشافعية الكبرى»: ٩/ ١٠٠ ـ ١٢٣.

(٤) ما حكاه الخطيب البغدادي عن إسماعيل النيسابوري آنفاً يقوي رواية الأيام الثلاثة.

(٥) شهاب الدين أحمد بن محمد القسطلاني المصري الشافعي. كان من أزهد الناس في الدنيا، منقاداً إلى الحق، عفيفاً متقللاً من عشرة الناس إلا في المطالعة والتأليف والإقراء والعبادة. كان يُقرئ الأربع عشرة قراءة، وكان صاحب صوت حسن، وله المصنفات الجليلة. توفي سنة ٩٢٣. انظر «المختار المصون»: ٢/ ٦٩٢ ـ ٦٩٣.

وذكر السخاوي[١] أن شيخه الحافظ ابن حجر قرأ سنن ابن ماجه في أربعة مجالس، وصحيح مسلم في أربعة مجالس، وكتاب النسائي الكبير في عشرة مجالس كل مجلس نحو أربع ساعات، ومعجم الطبراني الصغير في مجلس واحد بين الظهر والعصر، وهذا أسرع ما وقع له[٢].

هذه بعض الأمثلة على حرص سلفنا على القراءة السريعة، وتلك الأمثلة كلها كانت للقراءة الجهرية، حيث إن أولئك الأئمة كانوا يقرؤون تلك الكتب على شيوخهم فكيف لو كانت القراءة بمتابعة العين فقط؟!.

وتلك الأمثلة تدفعنا دفعاً قوياً للحرص على الإسراع في القراءة وتطوير قدراتنا في هذا الباب، والله أعلم.

٥ ـ لا بد أن يُعلم أن القراءة السريعة تعتمد ـ إضافة على قدرة الشخص ومهارته ـ على مقدرة القارئ على فهم النصوص، ومستوى ذكائه وخبرته، ومستوى المادة المقروءة وحالة القارئ النفسية والبدنية، ومدى تطبيقه لمهارات القراءة[٣].

❁ ❁

(١) هو الحافظ محمد بن عبد الرحمن السخاوي المصري الشافعي. ولد سنة ٨٣١، وحفظ القرآن وهو صغير، وبلغ من أخذ عنهم أكثر من أربعمئة شيخ، واختص بشيخ الإسلام ابن حجر العسقلاني الذي كان يحبه ويثني عليه. له مصنفات كثيرة. توفي بالمدينة الشريفة سنة ٩٠٢ بعد مجاورته فيها زمناً. انظر «النور السافر»: ١٦ ـ ٢١.

(٢) كل النقول السابقة من كتاب: «خلاصة الأثر»: ١/ ٧٢ ـ ٧٣.

(٣) انظر «القراءة أولاً»: ١٣٧.

أفكار ومناهج وطرق علمية تفيد في إسراع القراءة

الطريقة الأولى: التقليل من الارتداد والنكوص لقراءة كلمة أو كلمات سبقت قراءتها.

والارتداد هو الرجوع، وهو نوعان: طوعيّ وغير طوعيّ.

أما الطوعي فاللتأكّد من فهم كلام صعب أو لمحاولة فهمه، وهذا يجب أن يكون محصوراً في أضيق نطاق.

وأمَّا غير الطوعي فهو نتيجة عادة مكتسبة يجب التخلص منها.

وهناك دراسة توضح أن كلَّ ارتداد يصدر عن القارئ يخفض سرعته بمقدار ٥٠ كلمة في الدقيقة، فلو فرضنا أن شخصاً قرأ لمدة ساعتين وصدر عنه ارتداد كل دقيقة فسيضيعُ منه ٦٠٠٠ كلمة في تلك الساعتين، وإذا علمنا أنَّ القارئ العادي يقرأ ٢٠٠ كلمة في الدقيقة فينتج عن هذا أنه خسر ٣٠ دقيقة من القراءة بسبب الارتداد.

ويمكن التقليل من الارتداد بتمارين معينة، وهذا يكون باختيار نص معين تريد قراءته وليكن حجمه نصف صفحة، واقرأه مرةً واحدة بدون ارتداد، ثم حاول أن تتذكر ما فيه أو أن تُجيب على أسئلة حوله، ستجد أنك قد فهمت معظم ذلك النص.

والارتداد يؤدي إلى نقص في الفهم في الجملة، وبطء في القراءة، وإرهاق للعين.

الطريقة الثانية: قراءة المقاطع:

وهي: اتساع مجال الرؤية، وتفسيره: أن يتسع لديك مجال الرؤية، بمعنى أنَّه حاول ألا تقرأ كلمة كلمة بل مَقْطعاً مقطعاً، وكلما كبر هذا المقطع زادت سرعة القراءة؛ إذ أنَّ للعين حال القراءة قفزة (لمحة) فوق الكلمات فالقارئ البطيء هو الذي تقفز عينه قفزة لكل كلمة، والقارئ السريع قد تقفز عينه سطراً كاملاً أو نصف سطر.

ولا تظن أنَّ القراءة السريعة تقلل من الفهم بل العكس صحيح[١].

وهناك طريقة لهذه القراءة المقطعية مفيدة وهي أن تُقطِّعَ سطرين أو ثلاثة إلى مقاطع، وفي البداية يكون المقطع مكوناً من كلمتين، واجعل هذه المقاطع بعضها تحت بعض، وحاول أن تقرأ كل مقطع بقفزة واحدة، فإذا أتممت بنجاح فأطل هذه المقاطع إلى ثلاث أو أربع كلمات وهكذا، ومن أفضل الوسائل في هذا الباب قراءة الأعمدة في الصحف والمجلات إذ هي مكونة عادة من ٨ كلمات في سطر أو أقل.

ومثال على هذا سأقطع الجمل الآتية إلى مقاطع، فالجملة الأولى يحوي كل مقطع فيها كلمة واحدة، والجملة الثانية يحوي كل مقطع فيها من كلمتين، والجملة الثالثة يحوي كل مقطع فيها ثلاث كلمات وهكذا . . .

---

(١) سيأتي تفصيل لهذا قريباً.

«١» من/ خلقه/ الله/ للجنة/ لم/ تزل/ هداياها/ تأتيه/ من/ المكاره/ .

«٢» ومن خلقه/ الله للنار/ لم تزل/ هداياها تأتيه/ من الشهوات/ .

«٣» علامة الصادق: / إذا نظر اعتبر/ وإذا صمت تفكَّر/ وإذا تكلم ذكر/ وإذا مُنع صبر/ وإذا أُعطي شكر/ وإذا ابتلي استرجع/ وإذا جُهلَ عليه حَلُم/ وإذا علم تواضع/ وإذا علَّم رفق/ وإذا سُئل بَذل/ .

«٤» نيته أفضل من عمله/ وعمله أبلغ من قوله/ موطنه الحق ومعقله الحياء/ .

«٥» له بصائر من النور يُبصر بها/ وحقائق من العلم ينطق منها/ ودلائل من اليقين يُعبر عنها/ .

وهكذا ـ أخي القارئ ـ بالنظر إلى تلك الأمثلة تجد أنك تستطيع بإذن الله تعالى أن تخطو ـ تدرُّجاً ـ من قراءة المقطع ذي الكلمة الواحدة إلى قراءة المقطع ذي الكلمات الخمس أو الست كما في المثال الأخير، وتستطيع أن تفعل ذلك بقفزة (نظرة) واحدة من عينك.

وللتعود على سرعة القراءة، ولتوفير الوقت حاول أن تنقل عينيك بسرعة حال الانتقال من نهاية سطر إلى بداية آخر، صحيح أنه سيوفر عليك ثواني معدودة في الصفحة الواحدة، ولكن هذه الثواني تتحول إلى دقائق وساعات في الكتاب الواحد.

والانتقال السريع للعين يحميك من التشتت وعدم التركيز ويحول بينك وبين تضييع السطور القادمة، كما أن عليك أن تحاول التقليل من مدة الوقفات التي بين الجُمَل.

ويجب عليك حال القراءة التركيز على ما تقرؤه وعدم التفكير فيما سواه؛ حتى تطبق ما قيل لك من وسائل تحسين سرعة القراءة بشكل أفضل.

وهناك أمرٌ يجب مراعاته في باب القراءة السريعة وهو: التغيير في سرعة القراءة تبعاً للمادة المقروءة:

بمعنى أنَّه حاول أن تقرأ المواد المختلفة بسرعات متنوعة، فالقارئ لجريدة أو مجلة لا يكون في سرعته مثل القارئ لكتاب «الظلال» مثلاً إذ أن في «الظلال» عبراً وعظات، وفيه من قوة الأسلوب ما لا يحتمل أن يُقرأ بسرعة كقراءة الجريدة مثلاً، فالمطلوب ـ وهو زيادة السرعة ـ لا ينافي أن تكون هناك سرعة متغيرة للقراءة.

تطبيق لأساليب القراءة السريعة:

حاول أن تتمرَّن على القراءة السريعة، وقد أثبتت الأبحاث أنَّ غالبية الناس يمكن أن يحققوا ما نسبته ٢٠٪ من النمو والتطور في معدل سرعاتهم في مجال القراءة.

ولحساب التطور في سرعة القراءة خذ كتاباً معيناً متوسط الحجم، ثم احسب كم صفحة فيه، واقرأ الصفحة الأولى منه بنيَّة تطوير سرعة القراءة؛ أي أنك ستقلل من الارتداد وستحاول أن يتسع لديك مجال الرؤية ـ كما شُرح سابقاً ـ ، اقرأ في المرة الأولى خمس صفحات مثلاً بهذه الطريقة وسجل الوقت الذي استغرقته، ثم في المرة الثانية اقرأ خمس صفحات أخرى وضاعف الجهد المبذول في المرة الأولى، واحسب الوقت الذي استغرقته لقراءتها، وهكذا حتى تصل لمعدل مُرض وقراءة سريعة مع فهم متطوِّر يواكب تلك السرعة.

ولإعطاء مثل جيِّد على هذا خذ كتاباً متوسطاً في الأسلوب والعبارات، ومتوسطاً في صعوبة المادة المكتوبة، واحسب ما تستغرقه لقراءة الصفحة الأولى من مدة زمنية، ثم اعرف عدد صفحاته لمعرفة

كم سيستغرق الكتاب من مدة لقراءته قبل التمرُّن على القراءة السريعة، ثم بعد أسبوعين من التمرن على القراءة السريعة احسب مرة أخرى كم يستغرق الكتاب لقراءته، ثم أعط نفسك مدة أسبوعين آخرين هكذا.

فكتاب كالظلال ـ وأنا ضربته مثلاً لأن طبعته متوفرة ويسهل الحصول عليها وهي طبعة دار الشروق، والكتاب متوسط العبارة والأسلوب ـ لو قرأنا صفحة ١٢ من المجلد الأول وهي الصفحة الأولى فيه ـ لوجدنا أنها مكونة من أكثر من ٥٠٠ كلمة وأنها تستغرق ـ تقريباً ـ من القارئ المتوسط السرعة حوالي ٨٠ ثانية، فإذا علمنا أن المجلد الأول من ٦٠٠ صفحة تقريباً، فسيستغرق قراءة المجلد ما يقارب من ١٣ ساعة. فإذا قرأ تلك الصفحةَ القارئُ السريع فسيقرؤها في ٦٠ ثانية تقريباً، فمعنى هذا أنه سيقرأ المجلد في ١٠ ساعات، وإذا قرأها الشخص البطيء فسيستغرق تقريباً ١٥٠ ـ ١٨٠ ثانية، أي أنَّه سيقرأ الكتاب في خمس وعشرين ساعة تقريباً، أي أن مجلدات الظلال الست سيقرؤها الشخص السريع في ٦٠ ساعة والشخص البطيء في ١٥٠ ساعة فانظر إلى هذا الفرق الهائل: ٩٠ ساعة، وهذه الساعات التسعون يمكن توفيرها لو ثابر الشخص على القراءة السريعة.

وإذا علمت أنَّ هناك من الأشخاص من يقرأ ١٢٠٠ ـ ١٥٠٠ كلمة في الدقيقة أي أكثر من ضعف معدل الشخص السريع فسيطول عجبك!.

شبهات حول القراءة السريعة

الشبهة الأولى: سرعة القراءة تؤدي إلى قلة الفهم والاستيعاب:

وهذا غير صحيح؛ إذ يمكن زيادة سرعة القراءة والتعود على ذلك وسيتحسَّن الفهم ويواكب تلك الزيادة في السرعة، وذلك مثل الذي يتعلم الضرب على الآلة الكاتبة فإن مهمته الأولى هي تعلم كيفية السرعة في الكتابة، ثم يتعود بعد ذلك على فهم وإتقان الكتابة.

بل إن القارئ السريع يزداد فهم ما يقرؤه مع سرعته في القراءة طردياً؛ لأن في سرعة القراءة تركيزاً أكبر من التركيز الحاصل حال القراءة البطيئة، وقد يقل الفهم في بدايات تعلم القراءة السريعة ولكنه سرعان ما يعود إلى مستوى جيّد.

الشبهة الثانية: سرعة القراءة تؤدي إلى قلة التذكر لما قُرئ:

وهذا غير صحيح؛ إذ التذكر يحتاج إلى عدد أكبر من مرات القراءة وليس له علاقة بزمن القراءة.

الشبهة الثالثة: سرعة القراءة تؤدي إلى تجاوز المفردات الصعبة وبالتالي عدم تعلمها:

وهذا صحيح، لكن هذه المفردات عادة ما تكون قليلة في كتاب متوسط في الأسلوب والعبارات، وتجاوز هذه المفردات في بداية تعلم

القراءة السريعة لا يضر إذ المعنى العام مفهوم، ويمكن التعليم عليها لمعرفة معانيها من المعجم بعد ذلك.

الشبهة الرابعة: سرعة القراءة تؤدي إلى قلة التركيز:

وهذا خطأ؛ إذْ أنَّ قلة التركيز سببها القراءة ببطء والتوقف طويلاً بين الفقرات؛ وهذا يؤدي إلى السماح للدماغ لأن تتجول أفكاره ويُكثر من الخيال، بينما القراءة السريعة تشدّ الإنسان وتقلل من التشتيت.

مظاهر الضعف في القراءة

هناك أشخاص يعانون من أمراض أو من عجز في حواسهم يعيقهم عن القراءة، فالأعمى أو ضعيف البصر ضعفاً يمنع من الرؤية، أو من كان عنده أمراض في عينيه تزداد سُوءاً بالقراءة فهذا عليه أن يَعدل إلى أسلوب آخر من أساليب تلقي المعرفة.

أمَّا من كان عنده بعض العيوب التي تؤدي إلى ضعف قراءته وتحصيله فهذا يمكن له أن يعالجها ويتجاوزها، إن شاء الله تعالى.

وغالبُ هذه المظاهر ـ مظاهر الضعف ـ تبدو حين يحتاج الإنسان للجهر بالقراءة لإسماع الآخرين بعضَ ما يقرؤه، أو لاختبار في نص معيَّن، أو لإلقاء خطبة أو محاضرة مكتوبة... إلخ.

فمن هذه المظاهر:

١ ـ تكرار الجملة أو الكلمة الواحدة عدَّة مرات مما يؤدي إلى الإبطال واضطراب الفهم:

وهذه الظاهرة يمكن التخلص منها بجعل القارئ يقرأ بتوجيه ممَّن هو أقدر منه وأعلم.

ومعالجة هذا الأمر من الأهمية بمكان؛ لأنه الفاصل بين القراءة المفيدة النافعة وبين القراءة المضيعة للوقت.

٢ ـ الخطأ في ضبط الكلمات:

وسبب هذا ضعف الإلمام بقواعد النحو، أو أنَّ الشخص قد يكون ملمَّاً بها ولكنه لم يقرأ قراءة جهرية قبل ذلك، ولم يعود نفسه على تطبيق ما يعلمه.

وعلاج هذا الأمر ظاهر.

٣ ـ ضعف الإلقاء وعدم إتقان الأداء:

ويظهر هذا في الوقف في غير مكانه بحيث يختل فهم المقروء، ويظهر ـ أيضاً ـ في عدم تغيير الشخص لصوته حال القراءة بل تكون قراءته لأساليب متعددة بنبرة واحدة، فالتقرير والاستفهام والتعجب والأمر لها صيغ مختلفة يجب مراعاتها.

وعلاج هذا الأمر يكون بالقراءة على مُرشد يصحح المقروء ويقوِّمه.

ولابدَّ من قراءة كتاب يوضح قواعد الأداء والإلقاء والخطبة... إلخ. وهذا النوع من الكتب متوفر في الأسواق.

٤ ـ قفز الكلمات أو السطور:

وذلك إمَّا لخلل عضوي في العين، أو للحرص على سرعة القراءة، أو للإجهاد والتعب.

وعلاج هذا يكون بمعالجة العين إن كانت مصابة، أو بزيادة التركيز لما يُقرأ فلا يحصل للذهن تشتيت يُحدث هذا القفز[1].

---

(١) «المهارات اللغوية» للدكتور الشنطي.

٥ ـ عدم استطاعة القراءة الصامتة:

بمعنى أن القارئ لا بدَّ له من الجهر بالقراءة ولو أن يصل إلى أن يُسمع نفسه، أمَّا أن يعتمد على الإدراك البصري الذي ينقل له المعلومات إلى الدِّماغ بدون أدنى نطق فهذا مما لا يقدر عليه، وهذا لا شك من أسوأ العيوب فهو يؤدي إلى الإجهاد والتعب، ويقلل من حجم المادة المقروءة بنسبة كبيرة، ويتوزع تركيز الذهن بين الأداء والفهم بدلاً من الفهم فقط.

وعلاج هذا الأمر يكون بالتكرار الكثير مع الإصرار على عدم فتح الفم أصلاً حتى لا ينساب الكلام بحكم العادة، وقد يأخذ منه الجهد كل مأخذ ولكنه سيستفيد إن اعتاد القراءة الصامتة.

٦ ــ عدم فهم القارئ معظم ما يقرؤه وإن كان المقروء ليس صعباً:

وهذا سببه الضعف الشديد في الثقافة العامَّة وفي خصوص ما يقرؤه، وسببه أيضاً عدم اعتياد القراءة أصلاً، فقد يمرُّ على هذا الشخص سنوات طويلة لا يقرأ فيها كتاباً واحداً، والعياذ بالله، فهذا يُعدُّ شبه أمي وعليه أن يعود إلى أساليب التحصيل الأولى حتى يعالج نفسه.

خاتمة

وبعدُ ـ أخي القارئ ـ لا بد أن تعلم أن الإنسان المسلم يجب عليه (أن يبادر شبابه وأوقات عمره إلى التحصيل ولا يغترَّ بخدع التسويف والتأميل؛ فإنَّ كل ساعة تمضي من عمره لا بدل لها ولا عِوَض عنها، ويقطع ما يقدر عليه من العلائق الشاغلة والعوائق المانعة عن تمام الطلب وبذل الاجتهاد والجد في التحصيل فإنها كقواطع الطريق، ولذلك استحب السلف التغرب عن الأهل والبُعد عن الوطن لأن الفكرة إذا توزعت قصرت عن درك الحقائق وغموض الدقائق، وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه، وكذلك يُقال: العلمُ لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كذلك)[(١)].

هذا وأدعو نفسي أولاً وإخواني ثانياً إلى تدبر هذه الآيات الكريمة:

﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾.

والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

---

(١) «تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم»: ٧٠.

فهرس المصادر والمراجع

١ ـ «**الباحث**» مجلة فكرية تصدر في بيروت.

٢ ـ «**البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع**» تأليف الشيخ الشوكاني= محمد بن علي (ت ١٢٥٠). نشر دار المعرفة. بيروت.

٣ ـ «**تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم**» تأليف الشيخ بدر الدين بن جماعة الكناني (ت ٧٣٣). طبعة دار الكتب العلمية. بيروت.

٤ ـ «**ترتيب القاموس**» للأستاذ الطاهر الزاوي. نشر دار الكتب العلمية. بيروت، ١٣٩٩.

٥ ـ «**تعليم مبادئ القراءة**» صبيحة عكاش فارس. المؤسسة الأهلية للطباعة والنشر. بيروت.

٦ ـ «**تقريب التهذيب**» الحافظ ابن حجر العسقلاني = أحمد بن علي (ت٨٥٢). دراسة ومقابلة الأستاذ محمد عوّامة، نشر دار الرشيد. حلب. الطبعة الأولى. سنة ١٤٠٦.

٧ ـ «**تقييد العلم**» تأليف الحافظ الخطيب البغدادي = أحمد بن علي بن ثابت (ت٤٦٣). تحقيق يوسف العش. نشر دار إحياء السنة النبوية، الطبعة الثانية ١٩٧٤م.

٨ ـ جريدة «**المدينة**».

٩ ـ «**الحث على طلب العلم والاجتهاد في جمعه**» تأليف أبي الهلال العسكري. تحقيق د. مروان قباني. نشر المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

١٠ ـ جريدة «**الحياة**»: لندن.

١١ ـ «**الحيوان**» للجاحظ = عمرو بن بحر (ت ٢٥٥). تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون. طبع مكتبة البابي الحلبي، مصر، الطبعة الثانية.

١٢ ـ «**خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر**» للشيخ محمد المحبي. دار صادر. بيروت.

١٣ ـ «**الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة**» تأليف الحافظ ابن حجر= أحمد بن علي (ت٨٥٢). تحقيق محمد سيد جاد الحق. طبعة دار الكتب الحديثة. القاهرة.

١٤ ـ «**ذكريات**» فضيلة الشيخ علي الطنطاوي. دار المنارة للنشر. جدة. طبعة ١٤٠٦هـ.

١٥ ـ «**روضة المحبين ونزهة المشتاقين**» تأليف الإمام ابن قيِّم الجوزية = محمد بن أبي بكر (ت٧٥١). نشر دار الباز للطباعة والنشر. مكة المكرمة.

١٦ ـ جريدة «**الشرق الأوسط**».

١٧ ـ «**صفحات من صبر العلماء على شدائد العلم والتحصيل**» تأليف الشيخ عبد الفتاح أبو غدة (ت ١٤١٧). نشر مكتب المطبوعات الإسلامية. حلب. الطبعة الثالثة ١٤١٣هـ.

١٨ ـ «**الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**» تأليف الحافظ محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت ٩٠٢). نشر مكتبة دار الحياة. بيروت.

١٩ ـ «**طبقات الشافعية الكبرى**» تأليف الشيخ تاج الدين السبكي عبد الوهاب بن علي (ت ٧٧١). تحقيق عبد الفتاح حلو، ومحمود الطناحي. طبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.

٢٠ ـ «**القراءة**» تأليف د. حسن شحاتة. نشر مؤسسة الخليج العربي. القاهرة. الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ.

٢١ ـ «**القراءة أولاً**» تأليف الأستاذ محمد عدنان سالم. دار الفكر المعاصر. بيروت. الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.

٢٢ ـ «**القراءة السريعة**» تأليف روبرت زورن. ترجمة عبد الله القرّوض، نشر دار البيان العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.

٢٣ـ «**القراءة المثمرة: مفاهيم وآليات**» أ.د. عبد الكريم بكار. نشر دار القلم والدار الشامية. دمشق وبيروت. الطبعة الأولى سنة ١٤٢٠هـ.

٢٤ ـ مجلة «**الأزهر**».

٢٥ ـ مجلة «**المجتمع**» العدد: ٤٦٤.

٢٦ ـ مجلة «**المعلم العربي**»: مجلة شهرية تصدرها وزارة التربية والتعليم السورية.

٢٧ ـ «**المختار المصون من أعلام القرون**» لمصنف هذا الكتيب. نشر دار الأندلس الخضراء. جدة. الطبعة الأولى سنة ١٤١٥هـ.

٢٨ ـ «**المسلمون**» العدد: ٤٧٨.

٢٩ ـ «**مشكلات الشباب، الحلول المطروحة والحل الإسلامي**» تأليف د. عباس محجوب. من سلسلة كتاب الأمة رقم (١١).

٣٠ ـ «**المعجم الوسيط**»: تأليف مجموعة من الأساتذة. نشر مجمع اللغة العربية. القاهرة. الطبعة الثالثة.

٣١ ـ «**المهارات اللغوية**» د. محمد صالح الشنطي. (لا يوجد ذكر لدار نشر ولا تاريخ الطبعة)

٣٢ ـ «**نزهة الفضلاء تهذيب سير أعلام النبلاء**». للمؤلف. نشر دار الأندلس، جدة الطبعة الأولى ١٤١١هـ.

٣٣ ـ «**النهاية في غريب الحديث والأثر**» الإمام مجد الدين بن الأثير. تحقيق طاهر الزاوي، ومحمود الطناحي. توزيع دار الباز. مكة المكرمة.

٣٤ ـ «**الوقت عمار أو دمار**»: تأليف الشيخ جاسم المطوِّع. نشر دار الدعوة. الكويت. الطبعة الثانية ١٤٠٨.